جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: حضارات العالم

محاضرات مادة: حضارات العالم

عصور ما قبل التاريخ وتأريخ عيلام والماذيين

مقدمة في جغرافية ايران وعصور ما قبل التاريخ فيها :-

تبدو هضبة ايران وهي شبيهة بالمثلث , محصورة ما بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين في الشمال , وهي توصل بين اسية الوسطى واسية الغربية , كما انها بمثابة جسر الى اسية الصغرى والى قارة اوربة فيما ورائها . وتحيط بتلك الهضبة المثلثة سلاسل من الجبال ترتفع محيطة بصحراء منخفضة هي قاع بحر يابس (دشتي لوط) . وتدعى السلسلة الغربية بجبال زجروس الممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها نحو (620) ميلا وعرضها نحو 120 ميلا , وتتراوح ارتفاعاتها بين 3280 و 5570 قدما , وهي تتألف من جملة سلاسل متوازية تخترقها اودية تتراوح في اطوالها من 60 – 30 ميلا طولا ومن 12 – 6 اميال عرضا , ويمتد من السلسلة الوسطى من جبال زجروس ذراع يتجه غربا الى سهل ما بين النهرين (جبال حمرين).

وكان سهل وادي الرافدين مهددا بالغزو من هذا الامتداد المطل عليه (وفي الاقليم المسمى لورستان) , وكان الغزو متبادلا على ما سيتضح ذلك فيما بعد . ويحد الناحية الشمالية في ايران سلسلة جبال (البرز) التي يرتفع اعلى جبل فيها (وهو " دماوند " , شمال طهران وهو المسمى في المصادر المسمارية بجبل بكنى اي جبل اللازورد) زهاء 19000 قدما وتحاذي جبال (البرز) الساحل الجنوبي من بحر قزوين , وتصل في نهايتها الغربية الى اذربيجان الايرانية التي تتوسطها بحيرة (اورمية) الملحة . ويمتاز اقليم اذربيجان بكثرة سكانه وتنمو في وديانه الخصبة الغلات المهمة كالخطة والدخن والقطن والرز والتبغ كما انه ذو شهرة تاريخية خاصة , اذ ظهرت منه سلالات الماذيين والفرس التي حكمت ايران , واستوطنته الاقوام الاخرى كالكرد والمغول والترك (التتر) , وهو الى ذلك يعد الباب المؤدي الى ايران مما دعى الدول الفارسية الى ان تهتم في المحافظة عليه ازاء الفاتحين الاتين عبر القوقاز من السهوب الكائنة جنوب روسية , فقد اقيمت الحصون المنيعة التي لا تزال بعض اثارها مائلة الان .

وتتفرع من جبال البرز الى الشرق جبال خراسان التي لا ترتفع كثيرا , كما انه يسهل العبور منها , وهي ذات وديان وسهول خصبة تنمو فيها غلات الحبوب والرز والقطن والكروم والخشخاش , وتعد خراسان مخزنا للغلات بالنسبة الى ايران , وتؤلف خرسان المدخل الثاني الى بلاد ايران .

فقد عبر منها في خلال العصور غزاة فاتحون مختلفون جاءوا من سهول اسية الوسطى , فكانت معرضة لغزوات التركمان الى القرن التاسع عشر للميلاد . واقام ملوك السلالة الساسانية في خراسان حصونا لصد الفاتحين , واشتهر اقليم خراسان في تاريخ ايران يكونه مهد سلالات حاكمة مشهورة , كالفرثيين والصفويين والقاجاريين . وتكمل سلاسل جبال محيطة بهضبة ايران سلسلة جبال (مكران) في الجهة الجنوب , حيث يمر من هذه الجبال مجازان احدهما في بندر عباس (الذي كان فيما مضى ميناء مزدهرا في خليج عمان) والممر الاخر يؤدي الى بلوجستان .

ويقع في وسط هضبة ايران منخفض صحراوي شاسع يعد اشد بقاع الدنيا قحولة وجفافا . وهو ينقسم الى صحراوين شاسعتين تسمى احداهما (دشتى كوير) في الشمال والاخرى (دشتى لوط) (دشتى لوط او (دشت لوط) وتسمى صحراء الملح وسماها البلدانيون العرب باسم (المفازة الكبرى) ،في الجنوب, فالأولى عبارة عن ملين وملح لا ينمو او يعيش فيها شيء الا في بعض الواحات القليلة , اما (دشتى – لوط) فهي صحراء جاف على وجه الاطلاق .

وهكذا فقد انحصرت حياة الانسان واستيطانه في ايران في الهضبة فقط وفي السهول والوديان بين سلاسل الجبال وفي الواحات والسهول الواسع مثل سهل (خوزستان) المشهورة (في الجهة الجنوبية الغربية) وهذا هوة بلاد السوس القديمة (خوزستان) اي بلاد عيلام التي تعد من الناحية الجغرافية امتدادا لسهل ما بين النهرين الاسفل لأنها تتألف من الارض الرسوبية التي كونها نهر كارون وروافده الكثيرة . وكان هذا الاقليم [1] اقدم اجزاء ايران في استيطان الانسان له كما ظهرت فيه اقدم الاطوار الحضارية , وهو الى ذلك اصلح جزء لان يكون مركزا لإدارة الدولة الايرانية لما اتسعت هذه عبر (زجروس) الى ما بين النهرين والى اسية الصغرى .

وهناك سهل اخر في محاذاة الجبال المتاخمة لبحر قزوين , وهي جبال مهمة من ناحية جذبها للرياح الممطرة الغزيرة في هذا السهل الذي يكتسب خصبا بسبب ذلك , فكثرت فيه الغابات , والاحراش , كما ينمو فيه الرز والقطن والشاي والتبوغ وقصب السكر والبرتقال والليمون , والتوت , والتين , والرمان و وهو يجهز القوت لزهاء $\frac{1}{3}$ السكان . اما السهول الاخرى فهي ليست على هذا الخصب وعديمة المطر تقريباً فلا يمكن زرعها الى بالإرواء

[1] معنى خوزستان بلاد (الخوز او الهوز) ويجمع على اهواز , وهو اسم حاضرة هذا الاقليم في العصور الوسطى وسمية عرب ستان ثم اعيد تسميته القديمة (خوزستان) في ايام البهلوي رضى شاه . وسمى البلدانيون العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز , ولكارون افقد مهم هو نهر (كرخة) الذي يمر قرب السوس (قرب ديزفول) , (انظر كلامنا على اصل اسم عيلام) .

الاصطناعي , الذي استعمل في بلاد ايران منذ عصور ما قبل التاريخ , واتسع في العهد الاخميني حيث كانت شبكة من القنوات تحت الارض (بالفارسية قناة او غناة او كهريز) وفي الوقت الحاضر (تبزل) المياه في سفوح الجبال وتجمع في حفر عميقة يجري الماء فيها الى الموضع البعيد المراد ارواؤه ,وتظهر مثل هاذه القنوات في كل عام . وهكذا امكن لسفوح جبال زجروس والبرز بفضل ماه امطارها ان تكون صالحة للزراعة وسكنى للبشر , حيث تكون هذه الجبال مصدراً لينابيع المياه والسيول .

مع ان بلاد ايران على ما راينا , محاطة بالجبال الى انها مفتوحة من جهاتها الاربعة (بطرق مسالك الجبال) الى سهول ما بين النهرين (وستتطرق الى العلاقات والاتصالات منذ اقدم الازمان) مفتوحة ايضاً الى روسيا والهند والخليج العربي . كما انه يمر منها منذ اقدم الازمان طرق مواصلات عالمية تربط الشرق بالغرب , فيخترقها طريق تجارة الحرير الشهير الذي كان طرق مفتوح ايضاً, وكانت ايران في الواقع معرضة الى الفتوح والغزوات الخارجية وهجرات الاقوام البربرية . ومن الناحية الحضارية تقع بلاد ايران بين مركزين حضاريين مهمين , هما بلاد ما بين النهرين ووادي نهر السند .

ومن الامور المهمة التي يجدر ذكرها عن جغرافية ايران مما كان لها اثر في تاريخها وحضارتها ما في هذه البلاد من الموارد الطبيعية , فهي بالدرجة الاولى زراعية فيها حيوانات صالحة التدجين , وهي موطن اشجار مثمرة مهمة وحبوب برية مما مكن ظهور انقلاب العصر الحجري الحديث ومن مواردها الطبيعية المهمة انها غنية بأنواع الحجارة الجيدة كالمرمر والرخام والاخشاب , وبعض الاحجار الثمينة كحجر اللازورد والفيروز وقد استخرجه هذه الاحجار منذ اقدم العصور , وكانت مصدراً مهماً للأمراء السومريين الاوائل في العراق مما جعل ايران تصل بمواطن الحضارات القديمة وتتأثر فيها . ويوجد فيها من المعادن النحاس والحديد والقصدير والرصاص مما جذب اليها الفاتحين الطامعين من دول العراق القديم.

وتتكون سفوح زجروس ومنحدراتها من حجارة الكلس وتحتوي على النفط الذي كان معروفاً منذ اقدم الازمان وهناك ميزة جغرافية اخرى حددت من امكانيات ايران في نشوء الحضارة والدول الكبرى في عصور اقدم , تلك هي احوال الجفاف النسبي ومحدودية الاراضي الزراعية الصالحة للري بالأنهار مما كان يحتم على الفلاحين الهجرات الموسمية من الوديان الى الجبال وبالعكس للمحافظة على الماشية , ولا يوجد في ايران , كما في العراق , مناطق زراعية كبيرة مستمرة تعتمد على الانهار وتسبب قيام الوحدات الاقتصادية والسياسية الكبيرة , وكانت الوحدات الزراعية في الواحات في العصور القديمة اقرب ما تكون الى الاستقلال الذاتي في اقتصادها , ولهذه الاسباب تأخر نشوء الحيات الحضارية والحضارة في ايران عن نشوئها في وادي الرافدين ،باستثناء بلاد عيلام بسبب احتكاكها واتصالها بالعراق القديم وقربها منها .

مجيء الايرانيين الى بلاد ايران والمملكة الماذية

هجرة الايرانيين:-

هجرة الايرانيين الى هذه البلاد التي سميت باسم " ايران " جزء من هجرة اقوام كبرى بدأت منذ أزمان أقدم من مجيء الايرانيين الى ايران ، تلك هي الأقوام الهندية – الأوربية . وكانت هذه القبائل كثيرة تتكلم باحدى لغات العائلة اللغوية الكبيرة المعروفة باسم اللغات الهندية الأوربية أيضا ، وكانت تعيش في خلال الألف الثالث في الأقسام الجنوبية من روسية في السهوب الواسعة (سهوب أوراسية) ، حيث كانت تعيش على هيئة مجموعات قبلية ، يحكم كل قبيلة رئيس أو ملك ينتخب من الأسر النبيلة ، ويساعده في الحكم مجلس شورى من الوجهاء ، ومن الرجال المحاربين . ومع ان هذه القبائل كانت تعرف الزراعة الا انها كانت متنقلة وأشبه ما تكون بالبدو ، وكان شغل هؤلاء الأقوام المفضل " مهنة الحرب " والفروسية ، وقد ساعدتهم الخيول والعربات البدائية على الحرب كثيرا .

بدأت هذه القبائل الهندية – الأوربية او الآرية تهاجر من مواطنها قبيل نهاية الألف الثالثة ق.م ، وقد سلكت في هجراتها جهات مختلفة وفي أزمان متعاقبة على هيئة هجرات أو موجات متعاقبة ، ففرع كبير منها اتجه غربا حوالي البحر الاسود وعبر البلقان والبسفور وتوغل في آسية الصغرى حيث كانت تقطن فيها أقوام آسيوية ، وكانت من هذا الفرع الحثيون على ما نوها بذلك من قبل ، وذهبت قبائل من هذا الفرع منذ منتصف الألف الثاني ق.م الى بلاد اليونان ، وأستوطنت جماعة اخرى من الآريين في ايطالية وفي أوربة . ومن هجرات الأقوام الهندية الأوربية الكبرى الهجرات التي اتجهت الى الشرق ويصح ان نسمى هذا الفرع من الأقوام الهندية الأوربية باسم الفرع " الهندي – الايراني " فقد اتجهت جملة قبائل شرقا حول قزوين .

وعبرت جماعات منها القوقاز وانتشرت بعيدا الى عطفة الفرات الكبرى ، وسكن هؤلاء من الحوريين ، وأقاموا بينهم دولة ميتانى ، ولعل القبائل الكردية من هذه الهجرة ، أي من الميتانيين ، ولعل الاكراد الآن يتكلمون باحدى لهجات اللغة الايرانية القديمة ، ومن الفرع الشرقي على ما يرجح الكشيون الذين اسسوا سلالة حاكمة في العراق . ومن الفرع الشرقي أيضا جماعات مهمة اتجهت شرقا أبعد وعبرت ما وراء النهر وسيحون واجتازت مجازات هندوكوش وغزت الهند. ودخلت القبائل الايرانية الى ايران في مطلع الألف الأول ق.م.، اذ الشائع بين معظم الباحثين ان هذا الفرع من القبائل الآرية قد أخذ بالنزوح والتنقل في بلاد ايران في بداية الألف الأول ق.م ، وانه حدثت من جراء ذلك تغييرات أساسية في سكان ايران وتأريخها منذ هذا الزمن بمجيء تلك القبائل اليها . ومن الباحثين من يحدد مهد الآريين بالأقليم المسمى " ايرانويج " بين سيحون وجيحون في اقليم خوازرم وسمرقند .

ومهما كان الحال فأن القبائل الايرانية لم تستقر وتتوطن في بداية دخولها الى بلاد ايران قبل 900 ق.م . وأول اشارة تأريخية مهمة الى هذا العهد من مجيء الايرانيين نجدها في كتابات الملك الآشوري شيلمنصر الثالث في عام حكمه السادس عشر والرابع والعشرين (أي عام 843 وعام 835 ق.م) حيث اتصلت الجيوش الآشورية في حملاتها على زجروس بقبائل ايرانية كبيرة ويذكر لنا هذا الملك اسم قبيلتين مهمتين وهما الماذيون و فارس.

وكانت هذه لا تزال في تناقلها بين بحيرة اورمية و نجد همدان وكذلك اتصلت جيوش الملك " شمسي – أدد " الخامس و " أدد – نرارى" الثالث بالأقوام الايرانية التي كانت بين بحيرة اورمية وهمدان وقزوين . ويصف لنا الملك " تجلاتبليزر " الثالث وخلفاؤه الماذيين بأنهم أشداء ، وكانوا قد انتشروا في حدود هذا الزمن بعيدا الى الجبال التي ورد ذكرها في المصادر الآشورية بأسم جبال "بكتى" (اي جبال حجر اللازورد) وهي جبال " دماوند "

وهكذا فيبدو من هذه الاشارات التاريخية المهمة الواردة في اخبار الملوك الاشوريين من القرن التاسع ق.م . ان مجيء الايرانيين الى ايران كان في حدود بداية الألف الأول ، وان القبائل الايرانية الواردة في هذه الاخبار لم تكن قد استقرت في القرن التاسع ق.م , والاستنتاج المهم الثاني ان اكبر هذه القبائل وأشهرها الماذيون والفرس وكان مجيئهما الى بلاد ايران في نفس الزمن تقريبا , وبالأمكان تتبع اتجاهات هاتين القبيلتين الكبيرتين في بلاد ايران حتى استقرت كل منهما في الموطن التاريخي الخاص بها. اما القبائل الفارسية فقد اوغلت بعيدا في اتجاهها جنوبا من نجد همدان وبلغت الأراضي السفلى المتاخمة لكرمنشاه ، وسار الماذيون بأثر الفرس واستقروا في اقليم همدان واوغلت جماعة منهم الى اصفهان . ويبدو أن اندفاع الفرس ابعد الى الجهة الجنوبية الغربية وعدم مكثهم في شمال غرب ايران انما كان بسبب ضغط الآشوريين الشديد والأقوام الأخرى الشديدة المجاورة لايران ولا سيما الارمن الذين فرضوا سيطرتهم بعض الوقت على ايران ولا سيما ابان ضعف الدولة الآشورية , ولكن انعكس الوضع في عهد تجلاتبليزر الثالث حيث غزا هذه الاقاليم واخضعها ، وبعد سقوط الدولة العيلامية على ايدي الآشوريين في زمن آشور بانيبال انفتح الطريق امام توغل الفرس اكثر الى الجهة الجنوبية الغربية ، ويبدو انهم انحازوا الى العيلاميين في حربهم مع الآشوريين .

الماذيون

استقرت القبائل الماذية ، وراء الحاجز الجبلي بين وادي الرافدين وايران , وهي الجبال الممتدة من خليج فارس تقريبا الى بحيرة " وان " بموازاة وادي الرافدين (سلسلة زجروس) , وكان موطنهم في اقليم همدان بمحاذاة بلاد آشور تقريبا , وقد عاش هؤلاء الماذيون منذ القرن التاسع ق.م وهم خاملون من الناحية السياسية بسبب ضغط الآشوريين وضغط مملكة الارمن ايضا، ولكنهم كانوا يقتبسون من الاشوريين فنون السلم والحرب ، فاستطاعوا بعد مضي نحو قرنين من الزمان ان يقضوا على الدولة الاشورية (612 ق.م) .

وتنحصر اخبارنا القليلة عن الماذيين في الاشارات الواردة عنهم في اخبار الملوك الاشوريين الذين سيطروا على بلاد ماذي وألحقوها بالامبراطورية الآشورية وكذلك تكون اخبارنا قليلة عن العهد الذي أسسوا فيه مملكة قوية اذ لم تجر تنقيبات وتحريات أثرية مهمة في موطنهم كما انهم لم يخلفوا لنا سجلات خاصة بهم ، وتقتصر اخبارنا على الاساطير و " الافستا " واخبار هيرودوتس وعلى الاخبار القليلة في المصادر الاشورية فمن هذه الأخبار ما يذكره تجلاتبليزر الثالث من انه اخذ من الماذيين 65000 أسير وأسكنهم في منطقة ديالى على طوال حدود بلاد اشور وأسكن في محلهم جماعات من الآراميين .

ومن الاخبار الطريفة الخاصة بحروب الآشوريين مع مملكة الارمن ما ورد في اخبار حروب سوجون الثاني الذي كان الميدان الماذي بارزا في حروبه فقد قاد حملة كبرى ضد ملك الارمن " روساس " واخضع جملة رؤساء من حلفائه من الماذيين ، من بينهم شخص ورد اسمه بهيئة " دياكو " وان سرجون نفاه في عام 715 الى حماة في سورية . ولا يعلم بوجه التأكيد هل هذا هو نفس الشخص الذي تقول عنه المآثر انه أسس الأمبراطورية الماذية ، وسمى الاشوريون " اكبتانا " عاصمة الماذيين ، بأسم " بيت دياكو " . ووجد الماذيون في موطنهم الجديد المعادن المهمة كالنحاس والحديد والرصاص والذهب و الفضة والرخام والأحجار الكريمة ، وعاشوا حياة زراعية .

ويروي لنا هيرودوتس رواية ممتعة عن نشوء أول ملك على الماذيين وهو " ديوسيس " فيقول ان الماذيين كانوا يعيشون في قرى وليس لديهم حكومة مركزية ، وكان يعيش في احدى القرى شخص اسمه " ديوسيس " اشتهر برجاحة العقل والعفة والنزاهة في الأحكام مما جعل الناس يلجأون في الاحتكام اليه من القرى المجاورة ، ولما رأى ازدحام الناس عليه امتنع عن الاستمرار قائلا انه لا يسعه أن يصرف كل أوقاته في تسوية خصومات الناس فيمهل شؤونه الخاصة وعند ذلك عمت الفوضى وزال العدل من بين الناس، فأجتمع الماذيون وتكلم المتكلمون منهم (ولعلهم من أصدقاء ديوسيس) وعرضوا عليه ان ينصبوه ملكا عليهم، فجرى انتخاب واحرز الأكثرية " ديوسيس " . ولما تم له ذلك طلب من الناس ان يبنوا له قصرا ، وبعد حين سلك طريق الأستبداد .

ولعل ذلك جراء تقليده للملوك الاشوريين ، وان المآثر تنسب الى هذا الملك تأسيس عاصمة الماذيين المشهورة " اكبتانا " (والمرجح انها همدان الحالية) ويعني اسمها ملتقى الطرق الكثيرة . وموضوع اكبتانا في وادي خصب نظر وكان يجمل العاصمة قصر ملكي تبلغ مساحته نحو 3/2 الميل (بحسب رواية المؤرخ بوليبيوس) ، وبقيت المدينة عامرة الى العهد الاخميني والعهد السلوقي ، وقد نهبت ابان فتح الأسكندر لبلاد ايران ولم يبق من خرائبها الآن الشي الكثير الا ان اطلالها واسعه , وتقوم المدينة الحديثة (همدان) فوقها , وكثيرا ما يجد الناس في همدان وثائق مكتوبة في خرائب المدينة من عهد السلالة الاخمينية ولا سيما من عهد دارا .

ومن ملوك الماذيين المعروفيين " فراورطيس " الذي يرجح انه حكم في حدود (655 ق.م - 633 ق.م) وانه خلف " ديوسيس " الذي حكم في حدود 708 ق.م وقد جرأ " فراورطيس " على الهجوم على بلاد اشور ، ولكنه دحر في عام 653 ق.م . وكان الفرس تابعين الى الماذيين ولكن بلاد فارس استقلت من بعد هذه الحادثة (في حدود 651 ق.م) ، حيث انظم احد ملوكهم كورش الأول (وهو غير كورش الثاني الأكبر) الى العيلاميين في ارسال المدد الى " شمش - شوم - اوكن " حاكم بابل واوحى " اشور بانيبال " في الحرب التي دارت بين الاخوين . ولكن غير كورش سياسته لما ادرك قوة بلاد اشور الهائلة ، فأظهر خضوعه وارسل جزية مع ابنه الى نينوى لكسب الصداقة الاشورية وضمان استقلال الفرس .

موجز تاريخ بلاد عيلام

بدأت عيلام منذ بداية الالف الثالث ق.م تزودنا بشيء من المصادر عن تاريخها وكثرت هذه المصادر في العصور التاريخية المتأخرة اما في العصور القديمة فمصادرنا المهمة مأخوذة من الكتابات التاريخية في حضارة وادي الرافدين فندرس من هذه المصادر قيام امارات وسلالات حكمت في عيلام في منتصف الالف الثالث ق.م وامتد سلطانها الى بعض الاقاليم الجبلية المجاورة والى منطقة الخليج واقليم بوشير . وقد عثر هنا على كتابة باللغة السومرية يرجح انها تعود الى احد هؤلاء الامراء . وقد ان نوهنا بغزوات الامراء السومريين ببلاد عيلام . ولعل اقدم اشارة الى بلاد العيلاميين هي التي جاءتنا من سلالة لجش الاولى من كتابات حاكمها (ياناتم) الذي غزا عيلام حيث يتبجح في تلقيب نفسه بانه غازي عيلام الجبل الكثير الاشجار وتكررت الاشارات الى فتح هذا الامير لعيلام .

وكذلك من الامراء الاخرين من السلالة نفسها ، وكلها تشير الى غزو عيلام . ولكنها لاتذكر لنا شيئا عن غلبة العيلاميين لبلاد سومر وهو امر مرجح ولكن لاينتظر ان تذكرها اخبار هؤلاء الامراء . الا في اشارة واحده من اواخر عصر فجر السلالات تسمى العيلاميين (ناهبي لجش) . وتعرضت بلاد عيلام الى ضغط شديد بقيام السلالة الاكدية القوية في العراق حيث غزاها سرجون الاكدي واحرز نصرا كاسحا وضم بلاد السوس الى امبراطوريته وظلت عيلام خاضعة لسيطرة الاكديين في عهد (مانشتوسو) الى سرجون ولكنها ثارت في عهد (نرام _سين) فاخضعها هذا العاهل القوي بعنف وقسوة وعين من قبله في مدينة السوس حكما شيد ابنية مهمة فيها وبلغ من نفوذ حضارة وادي الرافدين في العهد الاكدي مبلغا كبيرا بحيث ان اللغة الاكدية حلت محل اللغة العيلامية في بلاد عيلام .

وسمي كثير من السكان انفسهم باسماء اكدية او جزرية . وكان هذا اعظم خطر تعرضت له عيلام في ثقافتها وقوميتها . ومهما كان الحال فيبدوا ان العيلاميين تظاهروا بالركون الى سياسة الخضوع والطاعة فافادوا من ذلك اذ حصلوا على رضا فاتحيهم وسلموا من التدمير والتخريب حتى ان (نرام _سين) لم يخش من ان يعين على بلاد عيلام واليا من العيلاميين انفسهم خلفا للحاكم الاكدي الذي عينه من قبل . فاستغل هذا الحاكم العيلامي (واسمه بوزر _ انشوشناك) ثقة الاكديين واخذ يبذر بذور الحركة القوميه العيلاميه حتى صارت النصوص تكتب في عهده باللغة العيلامية والخط العيلامي القديم الى جانب اللغة الاكدية . كما اشتهر باعماله العمرانية البنائية في مدينة السوس . واستطاع ان يفتح جملة اقاليم الى جهة الشمال واتصل باقليم الكوتيين (في المنطقة الجبلية شرق الزاب الاسفل) متظاهرا بحماية ولاية عيلام التابعة الى الدولة الاكدية . ولما مات (نرام _ سين) . اقوى ملوك السلالة الاكدية .

اعلن هذا الوالي العيلامي استقلاله عن السلطه الاكدية . ولم يكتفي بذلك بل انه غزا بلاد الاكديين نفسها في عهد الضعف الذي حل بالسلالة الاكدية . ولعله وصل الى العاصمة (اكد) . ولكن لم يدم هذا الازدهار السياسي زمنا طويلا في عيلام . اذ ان ضعف السلالة الاكدية من بعد (نرام _ سين) الذي استغله العيلاميون في انسلاخهم من ربقة السلطة الاكدية قد عرض العيلاميين الى خطر اخر جاء من الاقوام الجبلية المجاورة للعراق ، حيث هجم عليه بعض هذه الاقوام . وبوجه خاص القوم الذين ورد ذكرهم في نصوص العراق القديمة باسم (لولوبو) ثم اعقبهم الكوتيون ، وكان (اللولوبو) يحتلون اقليما يمر منه الطريق المهم القديم المؤدي من بغداد الى كرمنشاه وهمدان وطهران . وقد سبق لسرجون الاكدي وحفيده نرام سين ان قاما بغزوا هذا الاقليم . وقد ضربهم (نرام _ سين) . بوجه خاص حيث حطم اتحادا مكونا من اللولوبو والكوتيين على اثر معركة كبرى خلد انتصاره فيها في نصب عظيم نقشه في منطقة شهرزور .

وكان هؤلاء الجبليون يسيطرون على الطرق التجارية المهمة الواصلة بين سهل ووادي الرافدين وبين ايران . ومع انهم كانو اعداء العراق القديم الا انهم كانوا في ازمان السلم والسلطة المهمة للتجارة . وقد وجد لاحد الملوك اللولوبو في جبال (سرى بول زوهاب) في هورين شيخان منحوتا بالحجر تضاهي منحوتات نرام _ سين . وفيها كتابة مشوهة يظن ان فيها اسم الملك او الرئيس (تار _ لوني) كما خلفو نقشا اخر في الجبل المؤدي الى القرية المسماة الان (سرابول) حيث اسم ملك (آنو بانينيني) امير اللولوبو مع صورته وصورة الاله عشتار ويبدوا ان الكوتيين الذين قضوا على السلالة الاكدية في العراق قد فرضوا سيطرتهم ايضا على بلاد عيلام .

وبعد طرد الكوتيين من العراق وقيام سلالة اور الثالثة العظيمة وانشائها امبراطوية كبرى دخلت بلاد عيلام ضمن هذه الامبراطورية وضلت كذلك اكثر من قرن واحد الى سقوط هذه السلاله التي راينا ان العيلاميين ساهموا في اسقاطها مع الاموريين حيث نشأت في عيلام سلالة وطنيه جديده . جاءتنا بعض اخبار ملوكها وجملة وثائق تجارية مدونة باللغة الاكدية

. وتظهر فيها اسماء بعض الالهة العيلامية اشهرها الالهه (شالا) وزوجها (انشوشناك) كما شاعت عبادة الاله البابلية .

وقد سبق ان رأينا من تاريخ العراق القديم .كيف ان العيلاميين غزوا العراق في نهاية سلالة اور الثالثة وكيف اسس احد ملوكهم المسمى (كودر مابك) سلالة لارسه ثم كيف قضى (ريم سين) العيلامي على سلالة (اي سن) المعاصر لها ورأينا ايضا حرب حمورابي لريم سين واندحار هذا الملك العيلامي ففقد العيلاميون استقلالهم ودخلت عيلام ضمن امبراطورية حمورابي. ولكن استعادت بلاد عيلام استقلالها في نهاية سلالة بابل الاولى وقامت فيها سلالة حاكمة مهمة في عهد الكشي في بلاد بابل . وقد سبق ان رأينا في كلامنا على تاريخ العراق كيف ان العيلاميين هم الذين قضوا على السلالة الكشية في العراق بقيادة ملكهم (شوترك ناخنتي) واخذوا غنائم مهمة اشهرها المسلة التي نقش فيها حمورابي شريعته المشهورة ومسلة نرام _سين . حيث وجدت مثل هذه الاثار في السوس عاصمة عيلام .

وقد قام منهم في هذا العهد ملوك اقوياء مثل شوترك ناخنتي . المذكور (وكوتر ناخنتي) و (شلهاك ان شوشناك) وقد ازدهرت عيلام في هذا العهد في امنها وثقافتها . وفي قوتها السياسية حتى ان الملوك العيلاميين كونوا في نهاية العهد الكشي مملكة كبيرة ضمت معظم بلاد ايران . كما نشطت الثقافة الوطنية حيث انتشر استعمال اللغة العيلامية بالخط العيلامي ولكن لم يدم هذا العهد زمنا طويلا اذ حل التدهور في عيلام في بداية الالف الاول ق.م وقد صادف ذلك قيام ملوك اقوياء في بلاد بابل اشهرهم نبوخذ نصر الاول الذي حطم جموع العيلاميين واستولى على عاصمتهم السوس . وقد اعاد تمثال مردوخ الذي اخذه العيلاميون سابقا ويحدد لنا هذا العهد فقدان بلاد عيلام لاستغلالها زهاء ثلاثة قرون . وصادف ذلك تعاظم الاشوريين وسيطرتهم على معظم الشرق الادنى وبضمن ذلك بلاد عيلام وقد قاسى العيلاميون كثيرا من ضربات الاشوريين الشديدة . وكانت اخر الضربات القاسمة هي التي وجهها الملك الاشوري (اشور بانيبال) على بلاد عيلام حيث دمرها ودمر العاصة وزال الدولة العيلامية من الوجود ودخلت بلاد عيلام من بعد ذلك تحت سيطرة السلالات الايرانية الحاكمة كالمآذيين والاخمينيين .

حضارة الحيثيون

المحتوى...

كشفت التحريات الآثرية الحديثه عن وجود ادوار حضاريه في اسيا الصغرى سبقت استيطان الحثيين فيها وتأسيسهم دوله في حدود 1800 ق.م . واصل الحثيين على ما

سنذكر فيما بعد من الاقوام الهنديه الاوربيه , اما سكان اسيآ الصغرى الاصلييون فيما قبل العهد الحثي فلاسبيل في لمعرفة اصلهم ولا لغتهم لانهم لم يخلفو لنا اثارآ مدونه مكتوبه .

ومهما كان الحال فأن الادوار التي اظهرها البحث الحديث ترجع في عهدها الى العهد الذي سميناه بالعصر الحجري المعدني الذي يأرخ في الأناضول من الالف الرابع الى حدود 2500 ق.م . ويليه طور من الحضارة يتميز بأستعمال معدن النحاس (2500 – 2000 ق.م) , ثم عهد الدوله الحثية والحضاره الحثية ويشمل معظم الالف الثاني قبل الميلاد وتأتي من بعد ذالك الادوار المتأخره مثل عهد الفريجيين والليديين الخ ... ومما يقال بوجة الاجمال ان الكشف عن مثل هذه الاطوار وعن الحضاره الحثيه يعد من اروع ما قامت به الآركيولوجيا (علم الاثار) في العصر الحديث ولاسما في المواضع التي زدهرت فيها مثل عاصمتها القديمه حاتوشاش (ويعرف موضعها الان باسم بوغاز كوا) حيث وجدت فيها الاثار المدونه التي عرفتنا بهذه الحضاره . وقد وجدت من العهد النحاسي السابق ذكرة في موضع يسمى الجا مقبره عثر فيها على اار نفيسه من الحلا والادوات الذهبيه والفضه والالكترون (سبيك من الذهب والفضة).

وكذالك ادوات النحاس واواني الحجر النفيسه , مما يشبه ما وجد في المقبره الملكيه في أور في العراق من عهود فجر السلالات السومريه وقد سبق وان نوهنا بعدم معرفتنا بالاقوام التي اوجدت هذه الحضاره قبل الحثيين , وكل مايمكننا قولة انهم ليسوا من الاقوام الهنديه الاوربيه التي ينتمي اليها الحثيون , ولغتهم ليست ارية ايضآ بل من اللغات الآسيوية , ولكن اشارت اليهم الوثائق الحثيية بأسم خاتى وهو الاسم الذي اطلق على الحثيين انفسهم , كما يستشف من المأثر الحثية ان بلاد الاناضول كانت قبل ان يفرض عليها الحثيون دوله موحده واحده يحكم فيها جمله دويلات صغيرة , على طراز المدن السومرية ولابد ان نشير هنا الى تاثر بلاد الاناضول بالحضارات القديمة التي ظهرت في وادي الرافدين.

فقد سبق ان المحنا الى الحملات الحربية التي قام بها ملوك السلاله الأكدية في بلاد الأناضول والمستعمرة الأكدية التي قامت في كبدوكية , وتروي لنا المأثر المتأخرة (المدونة في حدود 1400 ق.م) ان الملك الأكدي نرام – سين (في حدود 2200 ق.م) قد حارب في الاناضول اتحاداً يشمل سبعة عشر ملكآ . وأثرت حضاره العراق القديم ايضآ في الحضاره الحثييه في العهد الحثي (منذ الاف الثاني) , وسنرى كيف ان الحثيين استعملوا الخط المسماري واللغة البابلية في كتابة وثائقهم وتأثروا بأساطير وأداب مابين النهرين . وقد وجد المنقبون حديثآ (1948-1949) في وسط الاناضول مستعمرة آشورية في كول تبة (وقد عين الاسم القديم لهذا الموضع حيث جاء اسمها بهيئة كنيش (Kanesh) وهي قرب قيصرية) يرجع عهدها الى الزمن الأشوري القديم (منذ 1900 ق.م) , ولعلها تقوم على ادوار اقدم ترجع الى العهد الأكدي .

(2) اما العهد الحثي (2000-1200 ق.م) فهو العهد المتمييز بكثره مصادره التاريخية المدونة بالحثية والبابلية حي نجت فية جماعات (هندية – اوربية) وقد فرضت سلطانها

على السكان الاصليين . وقد تكونت في هذا العهد .دول معظمة قوية , ونشأت في وجة خاص امبراطوريتان اقدمها في حدود 1800- 1500 ق.م , وكانت هذة الدولة هي التي غزت بابل في اواخر سلالة بابل الاولى اي سلالة حمورابي ويرجح انها هي التي قضت على تلك السلالة , ولكن الحثيين لاسباب غير معلومة تماماً , لم يبقو في العراق وحل محلهم الكشييون كما ذكرنا ذلك من قبل .

اما الامبروطورية الثانية فقد بقيت من 1450 الى 1200 ق.م . وكانت تعاصر الكشيين في العراق والامبراطورية المصرية (1580-1085 ق.م) وحدث نزاع حاد بين الحثيين والمصريين للاستيلاء على بلاد الشام دام زهاء القرن الواحد فأضعف الامبراطوريتين واستفاد الأشوريون من ذالك فوئد عظيمة كما مر بنا ذلك وتحطمت الأمبراطورية الحثية في حدود 1200 ق.م . بسبب هجرات من الاقوام الهندية الاوربية مثل (الفريجيين) و (الكاريين) وغيرهم , فتكونت دول صغيرة في آسية الصغرى على انقاض الامبراطورية الحثية .

---

(3)ويبدا العهد الثالث من انهيار الامبراطورية الحثية في عام 1200 ق.م وقد انتقلت فلول من الحيين من آسية الصغرى الى شمالي سورية , فانتقل بذلك مركزهم الحضاري والسياسي . فتكونت من فلول الحثيين في شمالي سورية دول صغيرة بقيت زهاء خمسة قرون وقد احتفظ الحييون في هذا المركز الجديد بالمآثر الحثية . وكانت اشهر ممالكهم في هذا العهد مملكة (كركميش) نسبة الى عاصمتهم (وهي جرابلس الان) ولسوء حظ الحثيين صادف عهدهم هذا توسع الآشوريين وزمن عنفوانهم العسكري فشددوا عليهم الخناق حتى قضوا على كيانهم السياسي في أخر الامر حين غزا سرجون الآشوري أهم مدنهم وهي كركميش في عام 717 ق.م

شئ عن الحضارة الحثية :

1- الحثيون على مابينا من الاقوام الهندية الاوربية , ولغتهم شبية بفروع عائلة اللغات الهندية الاوربية , وتعد الحثية من الفروع القديمة من هذة العائلة , ومن الباحيين من يرى ان اللغة الحية تؤلف من عائلة اللغات الهندية الاوربية الاخرى كتلة او عائلة كبرى من اصل بدائي قديم يصلح ان نطلق علية اسم اللغات الهندية – الحثيية وقد جاء الحثييون من موطن الاقوام الهندية الاوربية المفترض في جوار قزوين وجنوبي الروسية وقد دون الحثيوون بخط هيروغليفي قديم وبخط مستماري مقتبسم من المسماري في العراق القديم .

اما الخط الهيروغليفي فشكلة صوري ولا علاقة لة بالهيروغليفي المصري , وكان مستعملآ منذ 1500- الى حدود 700 ق.م , في الدرجة الاولى في منطقه كبيرة تمتد من اواسط الأناضول الى شمالي سورية . وقد بدأ العلماء يحلون رموز هذا الخط منذ عام 1930 ولما ينتة عملهم , وكتب الحثيوون ايضآ بعض سجلاتهم الاخرى بلهجة او لغة حثية خاصة في خط مسماري اقتبسوة من العراق القديم كما قلنا . وقد استعملا كلا الخطيين في آن واحد في عهد الامبراطورية الحثيه , وكان الخط الحثي المسماري محدود الانتشار اقتصر استعمالة بالدرجة الاولى في اقليم بوغازكوي وماجاورها وقد مات هذا الخط من الاستعمال بنهاية الحثيين في

الاناضول في حدود 1200 ق.م , في حين ان الخط الهيروغليفي الحثي ظل في الاستعمال الى حدود 700 ق.م واستعمل الحثيون ايضآ الى جانب هاذين الخطين اللغة البابلية والخط المسماري في كتابة جملة من وثائقهم .

الخطين اللغة البابلية و الخط المسماري في كتابه جملة من وثائقهم .

ومن الأمور الطريفة عن كيان المملكة الحثية و نظام الملكية فيها احتمال ان الملوك في الازمان القديمة كان يتم إعلاؤهم على العرش بطريق بيعة طبقة النبلاء على غرار الملوك بين ولاسيما تنظيم وثائق العرش ، حيث نظم ذلك الملك الحثي (تلبسنيوس) Telipinus بموجب قانون وضعه ، و كان ملوك الحثيين يلقبون أنفسهم بالملوك العظام ولم يؤله الملوك الحثييون ولكن نشأ نوع من العبادة والتقديس لارواح الملوك القدماء . وكان الملك الحثي القائد الأعلى للجيش وأعلى سلطة قضائية والكاهن الاعلى أيضا .

و كان يقوم على رأس المجمع الحتى الملك و الأسرة المالكة حيث كان اعضاؤها يتولون المناصب العليا في الدولة ، وكان كبار المدينة (شيوخها) يحكمون في المدينة في الامور القضائية ، ثم هناك الطبقة النبيلة ، وطبقة الصناع و النجار و العوام ولا سيما الفلاحون . وقد عثر في خرائب العاصمة بوغاز كوى على أجزاء كثيرة من ألواح الطين التي دونت بالشرائع الحثية القديمة ، ومن بين ذاك لوحان كاملان تقريبا دون في كل منهما نحو (١٠٠) مادة قانونيه ، وقد عدت المواد البالغة مائتي مادة في اللوحين المذكورين كأنهما شريعة واحدة، وفيها شبه ملحوظ بشرائع القديم من ناحية الأحكام و الصيغة الفنية ،

وقد أمدتنا الالواح المدونة التي عثر عليها في (بوغازكوى) ، بمعلومات ثمينة عن ديانة الحثيين القدماء ، وكان أبرز الاله في العهد الحثي اله الجو الذي مثل في المأثر الحثيية في الاناضول وفي سورية . ففي المآثر الحثية السورية يمثل هذا الاله (واسمه (تشوب) بهيئة ادمية وهو يحمل فأساً ورمز الصاعقة وفي الأناضول يمثل وهو راكب في مركبة تجرها الثيران وكان الثور حيوانه مقدس وقد يقوم الثور وحده رمزاً للآله في بعض المأثر . وقد أقيمت له معابد في طرطوس وفي سورية الشمالية , حيث كان الحوريون منتشرين هناك , واثروا في ديانتهم في الحثيين وعنهم دخل جملة آلهة من العراق القديم الى الحثيين مثل آنو ((انليل)) و ((ايا)) وزوجاتهم وعبد الحثيون ايضاً الاله الشمس بهيئة آلهة , حيث طغت في عبادتها في مركز الاناضول على عبادة الإله الجو الذي صار زوجها .

الفريجيون والليديون :-

رأينا فيما سبق كيف أن حياة الحثيين السياسية كدولة ذات كيان قد انتهت في حدود 1200 ق.م على أثر هجمات موجة من الأقوام الهندية الاوربية هي التي جاءت بأقدام الهجرات اليونانية إلى اليونان , وأعقب الدولة الحثية في الأناضول جملة أقوام أسست بدورها دولاً هناك , أشهرهم وأقدمهم القوم الذين سموا نسبة إلى الاقليم الذي أقاموا فيه ممتلكتهم (

فريجية) وعرفوا بأسم الفريجيين (وقد يجوز العكس أي ان الأقليم سمى بأسم القبيلة الخاصة) .

وقد ظهرت منهم دولة في القرن التاسع ق.م . كانت واسطة الاتصال الثقافي بمملكة ليدية وباليونان , وقد وضع الفريجيون بعض الاساطير التي فسروا بها أصل مملكتهم وأصل الملوك الذين ظهروا من بينهم ومن بينهم أول ملك حكم عليهم وأسمه ((جورديوس)) (Gordios) الذي لم يكن سوى فلاح فقير لا يملك غير ثورين(تروى الاسطورة (كما جاءت في المصادر اليونانية مثل هيرودوتس) ان الآله ((زوس)) أوحى إلى الفريجيين ان ينتخبوا ملكا أول من يقصد المعبد راكباً في عربة , فتم اختيار جورديوس , فكرس هذا الملك عربته إلى الأله , وقد اشتهرت هذه العربة بوجود ((عقدة)) تربط بين اجزائها (ولا سيما خشبة النير المربوط بالعربة) , وقد اوحى الآله بأن من استطاع حل هذه العقدة يمكن من حكم أسية , ولم يستطع ذلك أحد غير الاسكندر الكبير الذي فك العقدة بضربة من سيفه من بعد معركة ((ايسوس)) الشهيرة . وصارت عبارة (The Gordion knot) في اللغات الاوربية مضربا للمثل على العقيدة العسيرة الحل) .

وخلفه في الحكم أبنه المسمى ((ميداس)) (Middas) الذي كان مبذراً مسرفاً أضعف المملكة , وتروى الاسطورة أنه دعا الآلهة لتمنحه القدرة على تحويل كل شيء يمسه إلى ذهب , فأستجابت له الآلهة حتى ان الطعام الذي كان يمسه يتحول إلى ذهب , فكاد يموت جوعاً فتضرع الى الآلهة أن تزيل منه تلك الامنية التي تحولت إلى لعنة , فأستجابت له الآلهة ودلته على الخلاص منها بتطهير نفسه في نهر اسمه ((بكتولس)) الذي صار ينتج حساب الذهب منذ آنذاك, وقد قضى الكميريون على هذه المملكة في عهد ملكها ((ميداس)).

لقد أسس الفريجيون عاصمتهم في الموضع الذي عرف بعدئذ بأسم ((انقرة)) (Ancyra) , وأتخذوا لعبادتهم الآلهة المحلية التي وجدوها , وأشتهرت بين آلهتهم آلهة بأسم (سبيلة) أو (كبيلة) ولعلها آلهة حثية تمثل الخصب مثل الآلهة البابلية عشتار، وقد اتخذ الرومان عبادة (سيبلة) وجعلوها ضمن عبادة آلهة الدولة الرسمية , وكان للآلهة حبيب وزوج (اتيس) وصار الرومان يقيمون المهرجانات الدينية المتصفة بالخلاعة والتهتك في الاعباد الخاصة بعبادة هذين الآلهين .

انتهت حياة المملكة الفريجية بقيام دولة أخرى أعقبتها في اسيه الصغرى عرفت باسم مملكة (ليدية (Lydia) ، و تقول المأثر أن الملك (جايجز)(Gyges) هو الذي اسس المملكة وجعل عاصمتها في (ساردیس) ثم ، خلفه الملك (الياتيس)، (Alyattes) الذي أوصل المملكة إلى الازدهار والرخاء واشتهر من هذه المملكة الملك قارون، (كروسس(Croesus))(570-546 ق.م) الذي خلفه ووسع المملكة بحيث جعلها تشمل معظم آسية ألصغرى كما ميز قارون» نفسه بانه سك نقود الذهب والفضة وختمها بنقوش جميلة ولعل هذا هو سبب اشتهارة بالثروة . ولكن المعروف تاريخا آن سك النقود قد سبق عهد قارون في اسية الصغرى لعله

بزمن نصف قرن (الاشوريين آن قطعا معدنية سكها سنحاريب (في حدود 700 ق . م) زلة كل قطعة نقد نصف (شيقل)).

لقد كان (قارون) آخر ملوك المملكة الليدية اذ قضي كورش في عهده عليها ، وكانت ليدية متأثرة بالحضارة اليونانية إلى درجة ان هيرودوتس - لما زار هذه المملكة وجدها لا تختلف في ثقافتها عن الثقافة الأغريقية ، كما ان جل مصادرنا المدونة عن أحوال هذه المملكة قد جاءتنا من الأغريق ، اذ لم يترك لنا الليديون شيئا عن أدبهم . ويروي لنا هيرودوتس رواية ممتعة عن سقوط قارون، فأولا يقص لنا قصة زيارة (صولون)، ، المشرع الاثيني المشهور (لقارون) وكيف أن هذا عرض على الحكيم اليونانى ثروته العجيبة وسالة ان يخبره عن أسعد رجل بين الناس ، فسمي له صولون ثلاثة رجال مفقودين ، غير موجودين في الحياة ، ولم يسم اسم (قارون) ، حتى بين السعداء "معادلا ذلك بانه لا يستطع أن يخبره ان كان أسعد الناس حقا حتى يعرف نهاية حياته وكان الملك الفارسى كورش، في ذلك الأثناء قد اقام مملكته الموطدة ، وسعى من بعدئذ لتوسيعها بالفتوح الخارجية التي شملت حدود اسيه الصغرى ايضا،ويروى لنا هيرودوتس أيضا تتمة طريقة لحياه (قارون)اذ يقول ان هذا لما سمع باقتراب الفرس من حدود الاناضول ارسل الى معبد الفأل يساله هل سينال النصر اذا هو عبر النهر (ولعله نهر الهليس,وهو قزل ايرمق الان) لملاقاة الجيش الفار سى ، فأجابه «فأل، الاله بانه ، اذا عبر النهر حطم مملكة عظيمة، . أما نتيجة الالتحام مع الفرس فكانت تحطيم جيشه ومملكته، فلما ان شاهد النتيجة المحزنه (546ق . م) صمم على الانتحار هو و عائلته فاحظر نارا لتهيئة جنازته بالحرق . وفيما هو كذلك مر به (گورش) واخبر بحقيقته ، وتذكر قارون، قول صولون، له فبكى وقص القصة على كورش، ، فرأف به هذا وجعله مرافقا له من بين مستشارية .

الاسكندر المقدوني

المحتوى...

كان المقدونيون في عهد (فيلب) والد الاسكندر محصورين في القاره الأوربية بسبب عزلتهم عن مركز الحياه اليونانية السياسية . وتكون بلادهم الجزء الاوسط من شبه جزيره البلقان وتتألف من سهول واسعه مستويه يحددها ويخترقها اكام وحزون وعره .مناخها قارص شديد ولها موارد طبيعية غزيرة .وهي بلاد زراعيه ممتازه .لقد ادرك فيلب مؤهلات قومه وبلاده فشرع في انماء ثروتهم بفتح مناجم الذهب ووحدد قبائلهم تحت عرشة . وهيأهم الى الفتح والتوسع بتدريبهم تدريبا عسكريا شاملا وبعد خمسة عشر سنه من حرب متواصلة مع دويلات الإغريقية انتخب اخيرا في مؤتمر (كورنث) قائدا عاما لجميع الاغريق ليتولى الحملة على بلاد

فارس, اذ ان نجاح الثورة الإغريقية وصد الجيوش الفارسية التي ارسلت الى بلاد الاغريق منذ الثورة (الأيونية)وتعرف اليونان على بلاد فارس ومواطن ضعفها كل ذلك جراء المقدونيين واليونانيين المتحدين وحولهم من موقع الدفاع الى موقف الهجوم على الإمبراطورية الفارسية ولكن فيلب اغتيل في اليوم الذي خصص لبدأ الحملة فخلف ابنه الشهير (الاسكندر الكبير).

ولا يسعنا في هذا الموجز ان نسهب في القول في ترجمه الاسكندر ومزاياه الشاذة الخارقة فنكتفي بالتنويه ببعض العوامل المؤثرة في شخصيته وعلى رأس ذلك وراثته عن ابيه شجاعته واقدامه وأخذه عنه التدريب العسكري فقد قاد في عهد ابيه الجيوش في عهد المدن اليونانية وابدا مهاره فائقة كما ينبغي التنويه بوراثته عن امه (اولمبياس) المشهورة بحد العاطفة ، ونذكر ايضا علاقته بالفيلسوف اليوناني الشهير (ارسطو) حيث تولى هذا تثقيفه وهو في سن 13 عاما . واشتهر عنه انه كان مغرما بالشعر والادب اليوناني حتى انه كان يحمل معه على الدوام نسخه من الالياذة اصدرها له ارسطو نفسه . ولعل من اثر تعليم ارسطو له ما اوثر عنه من اهتمامه بالفلسفه والمعرفة والعلوم والطب . وتروى عنه حادثة طريفة في اواخر حياة ابيه . وهي ان اباه طلق امه وتزوج من ابنت احد قواده التي احبها . وفي الحفلة التي اقيمت بهذه المناسبة طلب ابو البنت وكان ثملا . ان يشرب المجتمعون نخب وارث العرش الاغريقي (من ابنته) فما كان من الاسكندر الا ان قذف كأسه بوجه القائد لأنه اهانه واهان امه . فنهض فيلب مجردا سيفه ولكنه سقط لانه كان ثملا .

وعندما خلف الاسكندر اباه وافق الجميع على توليه امر الحملة على فارس فاستعد لها خير الاستعداد . وبدا اولا بإخضاع (تراقيه) لئلا يبقى في مؤخرته عدوا . ونقل من بعد ذلك جيشه بأساطيل عبر الدردنيل . ويروى ان الاسكندر كان اول من قفز الى الشاطئ فقصد على الفور طروادة لزيارة مزار هناك فأهدى درعه واخذ بدلا منه تذكار من أثار (اخيلوس) . (بطل الياذة هوميروس) كان معلقا على الجدران . وصادف من بعد ذلك اول جيش فارسي فجرت معركة عند نهر (الغرانيق) دحر فيها الجيش الفارسي وكانت معركة ملتحمة كاد الاسكندر يفقد فيها حياته . ثم زحف الى الجنوب وسلك من (ساردیس) نفس الطريق الذي سلكه (كورش) و (زينفون) من قبله . اي انه مر بطرطوس ثم الى الباب السوري المؤدي الى كيليكية الى شمالي سورية . أما (دارا الثالث) الملك الفارسي فانه استطاع ان يحشد جيشا قوامه 40000 رجل وزحف للدفاع عن مملكته . ولكنه سار في الطريق الجبلي حاسبا انه سيلاقي الاسكندر فانتظره في مجازات جبال (انتى – طوروس) وعند ما وصل الى (توبرا كاله) وجد نفسه في مؤخرة الاسكندر الذي كان يستهدف (سكل – توتان) . وعندما كان الاسكندر يقترب من سورية أعاقته زوبعة في (مرياندوس) في الوقت الذي بلغته عن مكان (دارا) . فتراجع في أثره وتلاقى الجمعان على جانبي مجرى ماء في (ايسوس) بمسافة قليلة عن الشمال من (المجاز) . فجرت اولى المعارك الكبيرة التي تحطم فيها الجيش الفارسي وانهزم الملك .

وكانت جيوش الاسكندر على نظام خاص يحسن ان نلقي نظرة عجلى على تأليفه . فاكثر ما يمتاز به نظام التعبئة عند الاسكندر نظام الصف . الذي كان أقوى أجزائه وقد بلغ بوقت من الاوقات 20,000 رجل من الجنود المسلحين بحراب كبيرة طولها 20 قدما . وسيوف وبيضات وتروس ودروع وقد دربوا على القتال في ستة عشر صفا . صفا بعد صف . وتروسهم متصلة بعضها ببعض . وقد سلحت الصفوف الخمسة الاولى برماح مشهورة (طولها 13 – 14 قدما) . ويأتي من بعد ذلك صف من المشاة مسلح تسليحا ثقيلا ويحمل تروسا مقدونية مدورة . وصفة هذا الصف المشهورين المدرعين بالدروع الفضية . ويليه صنف اخر يجمل تروسا أخف . ثم رماة القذائف الذين هم في الغالب من الشعوب التابعة . وكان حرس الاسكندر الخاص مؤلفا من الطبقة النبيلة من المشاة . وكذلك خيالة من المقدونيين يسمون (بالأصحاب) ويأتي من بعد ذلك عربات تجرها خيول محمية بالزرد . وأضيفت الفيلة الى قوام الجيش من بعد غزو الاسكندر الهند . وكانت الفيلة تعصب بعصائب وقنازع وتحمل في القتال عدا السائق أبراجا من الخشب في كل منها أربعة رجال مسلحين . ومما يؤثر عنها انه كان يقدم أمام أنظارها قبل دخولها القتال عصير تمر أحمر (اما لاهجتها أو لمنع ارتباكها واضطراها عند رؤية الدم) .

كاد المقدونيون يخسرون المعركة في (ايسوس) , وذلك عندما عبرت الصفوف النهر فتعثرت في الضفة المقابلة وحل فيها الاضطراب . ولكن الهجوم الناجح الذي شنته الخيالة الاسكندر على ميمنة الفرس قرب الاسكندر الى حيث كان الملك واقفا في عربته . وبعد معركة خذلت دارا الثالث شجاعته فولى هاربا تاركا جيشه في ارتباك وفوضى . وخلف وراءه نساءه وأهل بيته وقد عاملهم الاسكندر معاملة شريفة لائقة . ومما يؤثر ان الاسكندر كتب الى دارا بعد قليل بقوله له (ليس عليك الا ان تأتي لتسألني فأعيد اليك زوجك وأمك وأطفالك وأي شيء اخر ترغب فيه . أما في المستقبل فاذا كتبت الي فعليك أن تخاطبني باسم ملك اسيا العظيم ولا تكتب الي كند بل خبرني عما تحتاج اليه كسيد كل ما تملك واذا نازعتني في المملكة فتمهل وحارب من أجلها مرة أخرى . ولا تهرب لأنني سأزحف عليك أينما كنت) .

ولم يلاحق الاسكندر دارا الى قلب اسيا فكان ذلك منه بعد نظر وحسن تدبير ، ولكنه عرج جنوبا ليحصل قبل كل شيء على بلاد الشام وفينيقية ومصر . فخضعت له كل المدن الساحلية الا صور . فكان حصارها ثم فتحها (332 ق . م) من اصعب مشاريع الاسكندر الحربية . وقد دمرها الاسكندر بعنف .

وقد استقبل الاسكندر في خلال الحصار وفدا من دارا الثالث قدم له فدية كبيرة عن عائلته واقتراحا بحلف عسكري . وقد روى أنه عندما بدأ الاسكندر يبحث الاقتراح في مجلس الشورى قال (بارمينو) أحد أصحاب الاسكندر : (لو كنت مكانك لقبلت) . فرد الاسكندر على ذلك بالجواب المشهور : (كذلك كنت أفعل لو كنت مكانك) . وبدلا من ان يقبل الإسكندر ذلك الاقتراح قصد مصر (عام 332 ق . م) بعد أن حاصر غزة زهاء شهرين جرح في المعركة في أثناء ذلك ثم زحف على مصر حيث لاقى مقاومة قليلة من الحاكم الفارسي . وقد ابحر من (منفس) وخطط بنفسه في موضع بين بحيرة مريوط والساحل مكان الاسكندرية , أشهر مدنه

الجديدة . وقبل أن يتجه الى بابل قام بعمل حكيم عندما أبقى ادارة البلاد بيد أهلها بالدرجة الاولى ما عدا قيادة الحامية التي أودعها الى قواده واحترام ديانتها وقدم القرابين للإلهة المصرية ولقب نفسه (ابن أمون) حيث زار معبد هذا الاله الذي انبأه انه سيحكم العالم .

ثم توجه بعد ذلك الى العراق من قرب دير الزور فسار شرقا الى دجلة وعبرة بمسافة قليلة الى شمالي الموصل . وسار الى (كوكميلة) حيث وجد دارا معسكرا فجرت معركة كانت حاسمة في القضاء على الاخمينيين . وكانت (كوكميلة) غربي نهر (الخازر) شمالي غربي اربيل بنحو 20 ميلا . ويميل كثيرون الى تسمية الموقعة باسم (اربلا) , وهم مصدره ان الاسكندر جلب الغنائم بعد انتهاء المعركة الى (اربيل) الى الجنوب الغربي من موضع المعركة بعشرين ميلا .

بلغ جيش دارا , كما يروى , المليون رجل بضمنهم مرتزقة من الاغريق ومائة عربة ذات فؤوس . وكانت خيالته وحدها تربو على جيش الاسكندر بكامله (بلغ جيش الاسكندر زهاء 40,000 من المشاة ونحو 7000 فارس)،فكان المقدونيون معرضين الى حركة التفاف مفاجئة أو هجوم عليهم من المؤخرة ولذلك فأن خطط الاسكندر التعبوية تجاه هذه الصعوبات حرية بالدرس والملاحظة . فبعد ان انف من تبييت عدوه رتب جيوشه في الصباح واضعا (بارمينيو) والخيالة في الميسرة , والصفوف في القلب , ووضع في الميمنة المشاة المسلحين تسليحا ثقيلا , ووضع جندا من صنف كل من الميمنة والميسرة خلف ذلك بصورة منحرفة اتقاء حركة التفاف من العدو . وبدأت المعركة بتعرض جيش الاسكندر الى حركة التفاف من ميسرة جيش العدو . فحمل الاسكندر تجاه ذلك متجها بهيئة مائلة الى اليمين واستمر في نقل كتائبه وصفوفه الثقيلة في الاتجاه نفسه . فامر دارا بهجوم الى جناح الاسكندر ليصدهم , ولكن نبالة الاسكندر أسقطوا الخيول والسواق فانفتحت كتائب المشاة وقد احدثت العربات ثغرة في جناح الفرس شطرين وزحفت الصفوف زحفا عنيفا على قلب جيش دارا , ففقد الملك الفارسي صوابه . فأدار عربته وولى هاربا , وبعد ذلك بقليل تقرر مصير اسية وكانت نهاية الامبراطورية الفارسية والاخمينية . وبعد أن تمهل الاسكندر قليلا في (اربيل) سار منحدرا الى بابل .

ولم يلاق الاسكندر حربا في بابل بل ان الحاكم الفارسي (مازيوس) سلم المدينة الى الفاتح . واتبع الاسكندر في بابل سياسة التسامح والمداراة التي اتبعها في مصر . فاعاد الحاكم (مازيوس) الى منصبه , والقى في روع السكان انه خلصهم من اضطهاد البرابرة . وصمم على اعادة بناء معابد الالهة . ومن الامور الشهيرة ان الاسكندر وجد صرح بابل المدرج الشهير العائد الى مردوخ في حالة انقاض (على أثر تدمير احشويرش) وقد قدر ان (عشرة الاف رجل يعملون مدة شهرين لا يستطيعون رفع الانقاض المتساقطة منه) .

نرانا في غنى عن ان نتابع الاسكندر في حملاته الى بلاد فارس بعد فتحه بابل الى سوس ثم الى (برسيبوليس) ذات القصور المحصنة التي جعلها دارا فخر السلالة الاخمينية . وقد

استراح هنا اربعة أشهر انغمس في خلالها في ولائم وافراح , وقد أحرق قصر الملك في اخر وليمة على أثر سكر . فعندما ثمل القوم اقترحت احدى البغايا التي تسمى (تاييس) ان تضرم النار في القصر (الذي طالما وضعت فيه خطط تدمير بلاد الاغريق) فبدأ اسكندر بالشعلة الاولى , فتوهج البناء الشامخ بالنار التي التهمت أخشاب الارز الثمينة والزخارف المنحوتة . وتوجه الاسكندر من (برسيبوليس) الى (اكبتانا) العاصمة الماذية التي فر اليها دارا . ولكنه تركها في النهاية قاصدا بلاد البخت , وقبل ان يتوغل الملك التعس بعيدا ثارت علية حاشيته وقتلته .

وتابع الاسكندر تقدمه الى اواسط اسية وشمالي الهند وعند رجوعه مر ببلاد السند . ولقد بدأ التذمر والسخط يعمان جيش الاسكندر لاشتطاطه في مغامرته وأظهر عدم مطاوعته لمتابعة الاسكندر في مغامرته في مجاهل اسية , فعاد الى سوسة وهناك شرع في سياسته في مداراة الفرس واشراكهم في الحكم , حتى انه ألف جيشا من الايرانيين الشبان ليتدربوا على أساليب الحرب الغربية . وشرع الاسكندر أيضا في تحقيق اصلاحه بدمج الغرب بالشرق حتى انه تزوج زوجة فارسية وحذا حذوه 80 قائدا من قواده و (10,000) جندي من جنوده . ومن بعد ذلك رجع الى بابل وأقلع الى أعالي نهر دجلة من خليج فارس حتى (اوبس) , وقد أظهر أتباعه في أوبس تذمرا عظيما فخطب بهم غاضبا وأرجعهم الى الطاعة , وقد رفع في طريقه الاعقات التي وضعها الفرس ليعيقوا سير السفن في النهر .

لقد صمم الاسكندر على أن يجعل بابل مركزا مهما في الامبراطوريته لربط الغرب بالشرق وعزم على ربطها بطرق تجارية ليس بالهند فحسب بل بمصر بقنوات من البحر الاحمر والنيل حتى انه شرع في بناء ميناء عظيم , وأخذ يهيئ في الوقت نفسه حملة الى جزيرة العرب , وبعد ولائم دامت يومين وفي مساء بدء الحملة مرض الاسكندر بالحمى ومات في اليوم السادس (في حزيران من العام 323 ق . م) في قصر نبوخذ نصر , ملك بابل الشهير وهكذا انتهت حياة هذا الشاب العجيب (الذي جمع في عمر ثلاث والثلاثين سنة همم كثير من الاعمار وتجاريبها) ولم يكن (موته نزوة من نزوات القضاء بقدر ما كان نتيجة حتمية للشدة التي احترق فيها لهب حياته).

ولقد دام حكمة 13 سنة ولقد عرفت الثلاثة قرون التي أعقبت موت الاسكندر باسم عصر (الهلستي) الذي سنوجز عنه بعض الشيء , قبل أن نبدأ بذلك نذكر بعض الملاحظات الاخرى المفيدة عن شخصية الاسكندر العجيبة , فأول ما يدهش في الاسكندر قابليته الفذة وفتوحه الخاطفة ثم موته وهو في ريعان الشباب , ولعل جسمه لم يتحمل الطاقة العظمى التي كانت تكمن في نفس هذا الشاب العجيب . وقد يكون من حسن حظ الاسكندر أن يموت وهو في ذلك السن وفي اوج مجده , اذ لم يكن من المتوقع ان تزداد شهرته , بل الواقع ان بوادر الغرور والعجب بالنفس أخذت تبدو في سلوكه ولو انه عاش أكثر من ذلك لارتكب على ما يرجح حماقات تحط من شهرته الفذة التي اكتسبها . كما ان من المشكوك فيه ان يستغل هذا الشاب نجاحه المنقطع النظير في أدارة تلك الامبراطورية العالمية وقد بدت علية بوادر الثمل بنشوة

النجاح والانتصار . ومن هذه البوادر الخطيرة أمارات العصبية التي تجلت في قتله بعض خيرة قواده . وقتله الفيلسوف المشائي الشهير (من أتباع ارسطو , المسمى كليستينيز) . وقد غضب اتباع ارسطو وأخذوا يشنعون به فساقوا نظرية الصدفة , وان سقوطه وموته كان بسبب تفاقم نجاحه وغروره . وبدأ الاسكندر ايضا في أواخر ايامه يعجب بالتملق والاطراء حتى انه قبل ان يجعله بعض المتزلفين ابن الاله (زوس) وابن الاله المصري امون , كما أدخل عادة السجود بين يدي الملك واتخذ بعض العادات الاخرى الشائعة بين ملوك الشرق .

وعلى الرغم من ان الاسكندر لم يتح له الوقت الكافي لوضع أسس ادارة امبراطوريته الا انه قام ببعض الاصلاحات منها تنظيماته المالية في التوفيق بين القيم الفارسية واليونانية , وكانت بابل ثانية مدينة مهمة في ضرب النقود في عهد الاسكندر , كما جعل ادارة الولايات مكونة من ثلاث سلطات , من الحاكم العسكري والحاكم الاداري والمدير المالي , وقد اقتصر في الحكام العسكريين على المقدونيين واليونانيين .

وننهي ملاحظاتنا هذه عن شخصية الاسكندر بالتنويه بأن الاسكندر وما أشتهر به من أعمال جسام صار موضوعا طريفا للقصص والاساطير لدى الاجيال التي أعقبته في مختلف الزمان والامكنة . وفي الآداب والقصص العربية شيء كثير من ذلك , حتى ان البعض يجعلون الاسكندر هو ذو القرنين المذكور في القران وانه صاحب السد الخاص بجوج وماجوج .

السلوقيون

لقد رأينا مما مر بنا في كلامنا على الاسكندر ان الامبراطوريه الضخمه التي أسسها هذا الفاتح العظيم لم تعش من بعده اذا سرعان ماتحطمت من بعد موت مؤسسها ودخل قواده وولاته في نزاع فيما بينهم من اجل الاستحواذ على اكبر حصه من أجزاء الامبراطوريه الواسعه وقد دامت تلك الحروب زهاء أربعين عاما .ولم يكن عند موت الاسكندر من المدعيين بعرشه الا اخ اصغر منه كان مضطرب العقل ، وكانت زوجته الريفيه (روكسانه) قد ولدت ابنا ضاع حقه في النزاع بين قواده وقد برز من بين المدعين المتخاصمين (من بعد معركه ابسوس عام ٣٠١ق.م) ثلاثه من مشاهير قواد الاسكندر اقتسمو امبراطوريته ، فنجح احدهم المسمى بطليموس في تأسيس سلاله البطالسه (البطالمه) في مصر، وصارت مقدونيه وبعض من بلاد اليونان من حصه القائد (انتيكونس) (بالكاف الفارسيه) ودخلت في حوزه القائد الثالث(سلوقس) بلاد الشام والعراق وايران.

لقد كان سلوقس من بين جميع خلفاء الاسكندر متشبعا باراء الاسكندر ومتعلقا بمثله العليا ولاسيما تعلقه بالثقافه الهلينيه ونشرها في الأقاليم الشرقيه. كما كان على معرفه كامله بالايرانيين وبلاد ايران فقد صار قائدا على جيش مؤلف من اشراف الفرس في عهد الاسكندر وقد تزوج نفسه بأميره فارسيه وهي ((فامه)) التي جاءت منها سلاله السلوقيين الحاكمه وقد ورث احسن اجزاء الامبراطوريه الفارسيه الاخمينيه وتنازل عن بعض الأقاليم الكائنه الى الشرق من ايران الى الملك الهندي (جندرا كوفتا) مؤسس السلاله الموريه التي اشتهرت بملكها (اصوكا) مقابل ماجهزه هذا بأفيله كان بحاجه اليها .

ومما يذكر عن سلوقس انه وضع الأسس الاداريه والسياسيه والاقتصاديه لامبراطوريته ، كما انه قسمها الى قسمين تقريبا القسم الشرقي الذي شيد له عاصمه جديده هي سلوقيه على دجله في العراق واسس في القسم الغربي (ومركزه بلاد الشام) العاصمه الثانيه الشهيره

انطاكيه العاصى . وسماها باسم ابيه (انطيوخس) وصارت انطاكيه من المراكز المهمه واغنى مدينه في العالم انداك ، وقد نافست الاسكندريه ، كما صارت مركزا مهما من مراكز الحضاره الهلنستيه . وقد اشرك سلوقس ابنه انطيوخس الأول في الحكم وجعله حاكما على القسم الشرقي منها ،ومقره سلوقيه .

ومع اهميه هذه المدينه الا ان استقرار الملك نفسه في العاصمه الغربيه قرب البحر المتوسط يشير الى تغير في اتجاه السلوقيين في نقل مركز الثقل في سياستهم من الشرق الى الغرب الى قرب مركز العالم الهليني، وكان لهذا النقل اثر سئ في تضاءل سلطان السلوقيين ونفوذهم في الأقسام الشرقيه حتى انفصلت عنهم نهائيا وآل امرهم الى ان انحصرت مملكتهم في بلاد الشام ثم ابتلغتها رومه على ماسنين فيما بعد . وكان تأسيس سلوقيه على نهر دجله اهم عامل في موت مدنيه بابل حيث بدأ ارباب التجاره والطبقات المهمه تهجرها الى العاصمه المهمه ، وتضاءل شأن بابل الى مدينه صغيره .

توالى على العرش السلوقي من بعد مؤسس المملكه سلوقس الأول ثمانيه عشر ملكا معظمهم باسم انطيوخس وسلوقس، وسنرى ان اكثرهم كانو ملوكا ضعفاء ، وانه لم يكد يمض قرن ونصف قرن على تأسيس المملكه على يد سلوقس (٣١٢_٢٨٠ق.م) حتى فقدت جميع أراضيها في الشرق وانحصرت في سوريه . وظهرت أولى بوادر الضعف في عهد انطيوخس الأول ابن سلوقس (الملقب سوتير المخلص ٢٨٠ _٢٦١ق.م) فقد استقلت في عهده بلاد فارس وأصبحت تابعه بالاسم فقط كما انه في عهد خلفه انطيوخس الثاني (الملقب نيوس أي الله ٢٦١_٢٤٦ق.م) انفصلت أقاليم مهمه من احزاء الامبراطوريه الشرقيه. وقد انفصلت مملكه بلاد البخت التي أسسها الاغريق شرقي بلاد ايران وانفصلت بلاد الفرثيين من بعد عام واحد (٢٤٩_٢٤٨ق.م).

وقد حاول الملك الدي خلف انطيوخس وهو سلوقس الثاني (٢٤٦_٢٢٦ق.م) اعاده الأوضاع في الشرق فأرسل جيشا على الفرثيين أوقع فيهم الهزيمه ولكن ثوره خطيره في انطاكيه اضطرته الى ترك بلاد ايران ومنعته من متابعه انتصاره ، حيث عاد الى سوريه ، وتفاقم الحال من بعد موت سلوقس حيث فقد السوقيون أجزاء كبيره من آسيه الصغرى وفي هذه المرحله الحرجه من تاريخ السلوقيين جاء الى العرش ملك كفوء هو انطيوخس الثالث الملقب بالكبير (٢٢٣_١٨٧ق.م) وقد تميز هذا بمقدره وبعد نظر سياسي ،فاستعادت في عهده المملكه سابق عهدها . فقد استطاع ان يخضع الولايات الثائره وغزا بلاد ايران وسحق الثورات هناك وحارب الفرثيين وهزم ملكهم (ارشاق) فخضع له وقدم الجزيه ، فسار المظفر الى بلاد البخت وشن الحرب على ملكها الاغريقي (بوثيديموس) الذي أسس سلاله حاكمه جديده وانتهت الحرب بين الطرفين بمعاهده صداقه تزوج على اثرها ابنه (ديمتريوس) من ابنه الملك السلوقي وعبر انطيوخس من بعد ذلك هندوكوش فلاقى ملك الهند في وادي كابل وجدد معاهده الصداقه السابقه.

ورجع من بعد ذلك عن طريق خليج فارس الى سلوقيه ويبدو ان نشوه هذه الانتصارات قد اثرت في انطيوخس فقرر التحرش بالرومان ، كما حاول فتح مصر ولكن الرومان حذرو من بعد ذلك لان كانت لهم مصالح حيويه في الاسكندريه . كما عزم على استرجاع آسيه الصغرى ولم يكتف بذلك بل انه عبر المضايق ليستولى على مقدونيه ولكن روما علمته درسا قاسيا حيث اندحر في معركه مع الجيوش الرومانيه في مغنيسيه ، وفرضت عليه معاهده صلح (١٨٨ق.م) لم يقتصر الامر على انه فقد ممتلكاته في آسيه الصغرى بل فرضت عليه غرامه باهضه . وقتل من بعد ثلاث سنوات في غزوه له في بلاد اللر (لورستان) .

وقد ظهر في عهد انطيوخس الكبير (يهوذا المكابي) الذي قاد ثوره اليهود في زمن انطيوخس الرابع وقد نجحت الثوره،واطلق لليهود حريه العباده حسب شعائرهم الدينيه وكان انطيوخس الرابع (١٧٥_١٦٤ق.م) اخر ملك من السلوقيين وهو على شيء من القوه وقد جاهد لمنع سير الامبراطوريه والمملكه الى الانحلال والانهيار، ومع انه نجح في حربه في مصر ضد البطالسه الا ان هذا النصر لم يفده شيئا .كما حاول توحيد الاقوام التابعه للسلوقيين عن طريق غرس الثقافه اليونانيه فلم يفلح في هذه المحاوله . ولم يمض على موته عهد طويل حتى فقد السلوقيين العراق .

وكانت نهايه السلوقيين بصفتهم عاملا مؤثرا في التأريخ في زمن ملكهم المسمى انطيوخس السابع (١٣٩_١٢٩ق.م) عظم في زمنه شأن الفرثيين في بلاد خراسان وامتدت فتوحهم من بلاد البخت الى الفرات . وقد نجح انطيوخس في بادئ الامر في الاحتفاض ببلاد بابل ولكن الملك الفرثي (افراهاط) الثاني دحر جيشه وافنى معظمهم في المعركه ، وانتحر الملك السلوقي وتوالت على السلوقيين بالمحن بالانفصال الولايات وظهور المدعيين والغاضبين في العرش السلوقي ، وانحصرت مملكتهم في سوريه ، ثم فقدت استقلالها إزاء قوه رومه المتعاظمه. وكان اخر ملوكهم انطيوخس التاسع (١١٥_٩٥ق.م)

ملاحظات عن العهد السلوقي في العراق :-

دام العهد السلوقي في العراق زهاء القرنين (٣١٢_١٣٥ق.م) وقد انتهى نفوذهم في العراق في عهد انطيوخس السابع الملقب (سيديتس الثامن /١٣٩_١٢٩ق.م.) الدي دحره الملك الفرثي المسمى ((افراهاط)) الثاني (١٣٧_١٢٧ق.م) فأنحصر نفوذ السلوقيين في سوريه وكانت مملكتهم قد اخذت في الانهيار حتى في سوريه اذا انها تجزأت الى ثلاث دويلات استمرت حتى ٩٥ق.م .

ومما يجدر ذكره عن العهد السلوقي في العراق ان نوعا من الانتعاش قد أصاب الحضاره البابليه ، ولاسيما في علم الفلك والرياضيات فقد جاءتنا مجموعه من السجلات الفلكيه والرياضيه المهمه في عهد سلوقس (نيقاطور) (٣١٢_٢٨٠ ق.م) تدون ارصاد فلكيه لها قيمه علميه كبيره . وقد استمر الانتعاش الى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد . وجاءنا في عهد الملك التالي الذي خلف سلوقس وهو انطيوخس (سوطر) (٢٨٠_٢٦٠ق.م) نموذج من التدوين التاريخي يسجل بعض الحوادث المعاصره من ذلك ذكر بعض المدن البابليه مثل بابل وكوثى وبورسبا وورد اسم سلوقيه بصفتها مدينه الملك أي العاصمه وجاءنا في زمن هذا الملك سجل (على ختم طين) بالخط المسماري دون فيه بعض اعمال الملك العمرانيه مثل تعميره معبد الاله ((نبو)) في بورسبا .

وقد سمى الملك نفسه في هذا الختم ((ابن سلكو))المكدوني . وعلى الرغم من هذا الاحياء الطارئ على الخط المسماري فأنه كان يسير الى الموت وقد انحصر استعماله في السجلات الفلكيه والنصوص الرياضيه وعدد قليل من العقود والوثائق التجاريه وبعض الاعمال المتعلقه بالشعائر الدينيه . ومن الطريف ذكره ان بعض الواح الطين التي حاءتنا من هذا العهد قد كتبت باللغتين البابليه والاغريقيه (لغه اليونان من القرن الثاني ق.م) اذا ترجمت فيها الكلمات البابليه . وقد استمر الخط المسماري في الحياه في السنه ١٠ و٩ و٦ ق. م.

ومما يذكر كذلك عن العهد السلوقي ان احد الكهنه البابليين المسمى ((برعوشا)) (بيروسس) قد كتب جميع مايعرفه عن تأريخ العراق في عهد الملك السلوقي ((سلوقس)) وقد كتبه باللغه اليونانيه ولكن الأصل ضاع ولم يأتنا من كتاباته الا الاقتباسات التي اخذها عنه بعض مؤرخي الرومان . وقد دون اثبات الملوك من اقدم الازمان الى عهد الاسكندر الكبير . وكانت كتابات برعوشا من جمله المصادر الرئيسيه القليله عن تأريخ العراق قبل ان تحل رموز الخط المسماري.

ملاحظات عن الامبراطوريه السلوقيه:_

-مع ان السلوقيين كانو ضعفاء بالنسبه الى البطالسه في مصر غير انهم كانو اهم ورثاء الاسكندر الكبير لانهم اخذو القسم الأعظم من امبراطوريته وقد كانت تخوم مملكتهم في مبدأ الامر تمتد من الساحل الايجي الى تخوم الهند ولكن امبراطوريتهم لم تكن ثابته في حدودها، وبالنظر لسعتها لم يكن من السهل حكمها والمحافظه عليها . ومما اضعف امرها النزاع المستمر بين البطالسه وبين الملوك السلوقيين ، وكانت اساطيل البطالسه عائقا كبيرا في ازدهار التجاره في المملكه السلوقيه ،حتى انه كان يعسر على السلوقيين الاتصال باليونان للتجاره او بسط النفوذ . وآل امر الامبراطوريه السلوقيه الى انها انحصرت في ديار الشام ، حتى انها دعيت باسم مملكه ((سوريه)).

ولكن اذا قيس حكم السلوقيين من الناحيه الحضاريه فأنه كان اهم من عهد البطالسه في مصر بالنظر لاستمرار الحضاره الاغريقيه (بشكلها الهلنستي) في انطاكيه وغيرها من المدن . فقد نشأت جمله مدن اغريقيه عاشت حياه اغريقيه وتمتعت بنوع من الاستقلال السياسي مع

اعترافها بالنفوذ السلوقي. وقد عمل مؤسس السلاله سلوقس وابنه انطيوخس الأول على تشجيع قيام مثل هذه المدن والدويلات في آسيه الصغرى وفي سوريا وفي فارس وفي تخوم الهند التي نشأت فيها ((دوله البخت)) الاغريقيه.

وهكذا حقق هذان الملكان بعض ماكان يحلم به الاسكندر من بث الحضاره الاغريقيه في الشرق وتشجيع الاغريق على تأسيس مستعمرات لهم في انحاء الشرق . وكانت هذه الدويلات جمهوريات صغيره يدير شؤنها الداخليه السكان انفسهم . وعن طريق هذه الدويلات وغيرها من طرق الاتصال انتشرت حضاره الاغريق في الشرق وتأثرت بحضارات الشرق ، وهذه هي الحضاره التي اطلقنا عليها اسم الحضاره ((الهلنستيه)) أي الحضاره الشبيهه بالهلينيه. وكان من جمله هذه الدويلات الاغريقيه مدينه نشأت على الفرات هي ((دورا يوروبس)) (الصالحيه الان) التي قامت في حدود ٣٠٠ق.م ،وعندما ظهر الفرثيون وعظم شأنها صارت في حوزتهم ، ولكن الرومان استعادوها منهم وصارت مدينه رومانيه مهمه . وقد أظهرت التنقيبات التي أجريت فيها مظاهر مهمه عن الحضاره الهلنستيه والرومانيه .

ومن الدويلات التي نشأت في هذا العهد دوله عربيه من الانباط في ((البتراء)) فقد استغل الانباط النزاع بين البطالسه والسلوقيين فانشأوا مملكه واتخذوا البتراء (سلع قديمه) عاصمه لهم ،كما نشأت تدمر في اثناء النزاع بين الفرثين الذين اعقبو السلوقيين وبين الرومان . وقد ازدهرت دوله البتراء وعاشت زهاء الثلاثه قرون ، منذ القرن الثاني ق.م (١٦٤ق.م) الى ان أصبحت تحت نفوذ الرومان وضمها الامبراطور تراجان في النهايه الى الامبراطوريه الرومانيه ، وقد سيطر النبط أصحاب (البتراء) على طرق الباديه المهمه المؤديه الى موانئ البحر المتوسط والى موانئ اليمن فنافسو تجار الاسكندريه الاغريق في تجارتهم بين الهند وانحاء الامبراطوريه الرومانيه .

وقد صاحب انتعاش النبط الاقتصادي تعاظم في النفوذ السياسي ، فأمتد نفوذهم وسلطانهم من طور سيناء الى دمشق ومن تيماء الى بئر سبع . وعلى الرغم من محاوله السلوقيين الاحتفاظ بالحضاره الاغريقيه فأنهم لم يسلمو من تأثيرات الحضاره الشرقيه ، فكما ان الاسكندر الكبير قد تأثر بنظام الحكم في الشرق وصار ملكا مقدسا يستمد سلطته من الالهه كما اتخذ الملوك السلوقيون هذه العادات . فصار الملك ذا صبغه مقدسه بل انه صار الها تجب عبادته والخضوع له . ولكن بوسعنا ان نقول انه مع ضعف الامبراطوريه السلوقيه فأنها هي التي حفظت الحضاره اليونانيه في الشرق وسلمتها الى رومه .

ـ ومن الأمور التي تذكر عن سياسه السلوقيين الأوائل في اداره امبراطوريتهم المؤلفه من اقوام مختلفه وبضمنها الاقوام الايرانيه ماسبق ان نوهنا به من ادخال الجماعات الاغريقيه في مواطن هذه الاقوام وتأسيس المستعمرات من الاغريق ومن هؤلاء وقد استهدف السلوقيون من ذلك عدا محاولتهم نشر الثقافه والنفوذ وتسهيل شؤون اداره الامبراطوريه ،فأنشات المستعمرات العسكريه وغير العسكريه وهي عين السياسه التي شرع بها الاسكندر وقد ظهرت

هذه الخطه واضحه بوجه خاص في بلاد ايران حيث أنشأت جمله مدن مهمه على الطريق العسكري بين سلوقيه وبلاد البخت ،

وهوه الطريق القديم المار من كرمنشاه وهمدان ،ولايصال هذا الطريق الى البحر أسست مالايقل عن تسع مدن في سواحل خليج فارس ومن بين ذلك مدينه سميت انطاكيه في بوشير التي اخذت مكان مدينه عيلاميه سابقه كما اعيد تأسيس (اكبتانا) وبنيت مدينه جنونها وسميت باسم اللاذقيه (نهاوند) وسميت مدينه الرى القديمه باسم (يوربوس) وكان سكان المدن الجديده خليطين من السلوقيين والمواطنين المحليين . هذا وقد سبق ان رأينا المدن التي أسسها السلوقيون او اعادو تسميتها في بلاد الشام .

واوجد السلوقيون جهازا كفوا في الاداره واتبعو نظاما ماليا مرنا شبيها بالنظام الاخميني ، وكان لهم جيش من الموظفين لجمع الضرائب . ومما يلاحظ عن نتائج فتوح الاسكندر من تأسيس امبراطوريته العالميه تم انقسامها الى ثلاث ممالك هلنستيه (او بالأحرى ثلاث امبراطوريات) انها اوجدت انقلابا في حياه العالم الاقتصاديه آنذاك ، بسبب الاتصالات الوثيقه بين اقطار العالم ،بحيث انه اذا وقع اضطراب مافي الحياه الاقتصاديه لاحدها اثر ذلك في الجهات الأخرى ، كما ان أوضاع العالم الاقتصاديه أصبحت تتأثر الى حد كبير بالأوضاع الاقتصاديه المحليه ،وهذا حال لم يكن مألوفا بهذه الدرجه في الازمان السابقه .

كما ان انتشار العمله النقديه في هذه الرقاع الشاسعه واستعمالها أساسا للتعامل بمقياس لم يكن معهودا من قبل كان له اثره البعيد في تطور العالم الاقتصادي . وان الثروات الكبيره والكنوز المعدنيه التي وضعها فتح الاسكندر في السوق العالميه قد اثرت اثرا عميقا بحيث ان قيمه الذهب والفضه قد هبطت عن قيمتها السابقه بنحو (٥٠بالمائه) .

ومن الممكن القول ان المملكه السلوقيه في العهد الذي شغل بحكم سلوقس الأول وخلفائه الأوائل قد ازدهرت في الناحيه الاقتصاديه .فقد تم نوع من التوازن بين الأجور والاسعار مما أدى الى تحسن أوضاع معيشه السكان . وان ازدياد أسعار الفائض يدل على ازدهار المصالح التجاريه والطلب المتزايد على رأس المال . ولكن لم تدم هذه الحال من الموازنه والازدهار الاقتصادي زمنا طويلا ، اذا حل الاضطراب في المملكه السلوقيه من جراء ضعف السلطه المركزيه وضياع بعض الأقاليم المهمه ، كما ان الازمه تعاقب بتدخل رومه في الأقاليم السلوقيه وتغير الأوضاع السياسيه . ويرى بعض الباحثين ان الدوله السلوقيه مؤسس رأسماليه قويه ، وكان الملك على رأس هذه المؤسسه ،يدير احتكار المواد الخام والمواد المصنوعه وهذه بذور التصميم والسيطره الاقتصاديه في العهود الحديثه .

وبعد مقتل كورش سمح للاغريق بالتراجع و كانت عودتهم إلى بلادهم محفوفة بالأخطار وتعد ظاهرة عجيبة لاسيما وهم يبعدون بمسافة اكثر من الف ميل عن اقرب موضع لموطنهم ويجهلون البلاد المعادية ، وليس لهم ادلاء ، وقد عدل قائد الإغريق عن سلوك نفس الطريق الذي جاء منه كورش الاصغر فسار بالاغريق شرقا إلى دجلة مارا من مدينة (عقر قوف)(على ما يرجح) ثم اجتازوا السور المادي الذي بناه نبوخذ نصر الثاني ووصلوا إلى دجلة قرب موضع سماه زيفون باسم «ستاسه ، وعبروا النهر من جسر ، ثم ساروا شمالا إلى موضع يصل فيه دجلة واحد روافده الذي سماه زينفون فسكوس، وهو نهر العظيم ، كما تمهلوا قليلا في مدينة اوبس.

وحدث للاغريق نكبة ، تلك هي ان القائد الفارسي (تسا فيرنوس)، الذي كلف امر مراقبة الاغريق حتى تتركوا حدود المملكة الفارسية قد اقترح على قائد الإغريق (كليرخوس)، عقد مؤتمر حضره قواد الاغريق ، ولكن القائد الفارسي قتلهم جميعا وعند ذلك انتخب الجند قائدا جديدا لهم هو زينفون، الشهير الذي دون لنا اخبار الحملة ، على ما بينا من قبل،

وتابع الاغريق سيرهم من بعد تلك الحادثة موضعين هما «كينه» و (لرسه)، ولعلهما العاصمتان إلاشورتان اشور ونمرود ، ثم خاضوا نهر الزاب الأعلى من ويسمى لنا زينفون موضعا هو مسبلا اي الم وصل على ما يرجح ، ومع ان الجيش كان يسير في الجانب الشرقي من النهر فان زينفون لم يذكر (نينوى) التي لا شك ان يكون قد سار على انقاضها بدون ان يميزها ، مع أنه لم يكن مضى على سقوطها اكثر من مائتى عام . ولما وصل الجيش منطقة زاخو يذكر لنا زينفون قوم (الكردوجى)، (أي الاكراد) ويصفهم بانهم قوم محاربون اشداء يعيشون في الجبال (ولا يطيعون الملك) ، ثم ساروا إلى جزيرة بن عمر ودخلوا في الأراضي التركية وواصلوا سيرهم حتى وصلوا في النهايه إلى البحر الأسود فصرخوا من شدة فرحهم البحر! البحر ! ،، وعانق بعضهم بعضا وعيونهم مغرورقة بالدموع .

وننهى كلامنا على عهد (ارتحششتا الثاني) بذكر بعض الأمور الأخرى المهمة في سير تاريخ الامبراطورية الفارسية ، ومن ذلك استمرار تدخل الملك في ارشاء المدن الاغريقية ولا سيما اسبارطة واثينة احداهما ضد الأخرى وبلغ انهاك قوى هاتين المدينتين انهما قبلتا بمعاهدة الصلح والسلم الذي اقترحه الملك مما عرف باسم (سلام الملك).

وأصبحت معظم المدن الأيونية تحت سيطرة الفرس ، ولكن هذا النصر الدبلوماسي قابلته نكبات وقعت للملكة الفارسية بسبب ثورات الولاة الذين اتحد عدد منهم والفوا اتحادا صار يسك النقود المشتركة اسمه، وهو امتياز كان محصورا بيد الملك ، كما استقلت مصر مما حرم الخزانة الملكية الفارسية من موارد مهمة ، وكادت الامبراطورية تنهار لولا أن خلصها النزاع الداخلي في الولايات نفسها وخيانة الولاة بعضهم بعضا واغتيالهم بعضهم بعضا فتمكن الجيش الفارسي بقيادة الملك نفسه من اعادة الأمور إلى نصابها موقتا ، وقد مات الملك (وقد حكم

زهاء نصف قرن) ولا تزال الاضطرابات تسود معظم جهات الامبراطورية وداخل المملكة ايضا .

وخلفه في الحكم ارتحشيشتا الثالث ، وكان قاسيا شديدا ، ولكنه على شيء من الرجاحة والحنكة السياسية . وكان اول شيء فعله لما تبوأ العرش هو قتل جميع اخوته واخوانه ، وقد بلغ عددهم العشرات ، ثم وجه همه لاخماد بعض الثورات واستعادة مصر ، ولكنه فشل في ذلك ، وقد تحالفت صيدا مع مصر وثارت على سلطان الفرس ، فدمرها هذا الملك تدميرا وحشيا حيث احرقها مع الوف من سكانها في انقاض البيوت ، وارسل بعدئذ حملة جديدة على مصر نجحت في ارجاعها إلى حظيرة الامبراطورية الفارسية .

وهكذا فيبدو ان الامبراطورية استعيدت إلى أيام ازدهارها في عهد دارا الاول ، ولكن المؤامرات لم تنته من البلاد الفارسى فقد مات هذا الملك القوى مسموما و بموته طعنت المملكة الفارسية طعنة نجلاء لم تبرأ منها ، في الوقت الذي اظهرت إلى الوجود دولة قوية في مقدونية هي مملكة فيلب ابي الاسكندر الكبير ، حيث كان يعد العدة لغزو آسيا ، مما سنقص خبر ذلك في كلامنا على الاسكندر والسلوقين. أما عن احوال العرش الفارسي فقد سسمم ابن ارتحششتا الثالث ونصب مكانه قريب منه هو دار الثالث الملقب بلقب «كودوماتوس (Codomarinus) وكان من الممكن لهذا الملك الشجاع ان يخلص المملكة الفارسية لو لم تواجهه مملكة مقدونية وقد اتحد معها الاغريق ، بقيادة قائد محنك يعد فلتة في العبقرية الحربية هو الاسكندر الذي قضى على السلالة الاخمينية وعلى الامبراطورية معها وهو موضوع اجلناه إلى بحثنا عن الاسكندر.

رحلة العشرة الالاف ج2

خلف احشويرش ابنه ارتحشيشتا، الأول (465) (Artaxerxes 424 ق . م) وكان ضعيف الشخصية ، وقد بدىء حكمه بثورة قام بها اخوه حاكم بلاد البخت ، فأخمد ارتحشتيشيتا هذه الثورة وأعقب ذلك قتله لجميع أخوته .وثارت مصر بعد ذلك بمساعدة اثينا التي كانت تحتاج الى غلات مصر لتعذر الحصول عليها عبر مضيق البسفور بسبب سيطرة الفرس . وفشلت الحملة الفارسية الأولى في اخماد هذه الثورة ، ولكن الامدادات الاخمينية المتتالية مكن الجيش الفارسي من اخمادها و من التغلب على الأسطول الاثيني في الدلتا بمصر . لكن خسرت فارس في عهده نفوذها في آسية الصغرى وذلك بفشلها في حملة حربية وجهتها على اليونان بعد أن اشترت مدينة اسبارطة بالذهب لتكون مع الاخمنينين ضد اثينة ، ولكن «سيمون» الزعيم الأثيني افلح في ابرام اتفاق مع اسبارطة ، فواجه اليونان

متحدين جيش الامبراطورية الفارسية وتمت التسوية بتنازل الملك الفارسي عن المدن الايونية في آسية الصغرى ان وجعل نهر الهليس (قزل ايرمق) الحد بين نفوذ الامبراطورية الفارسية وبين اليونان وكان هذا انخذالا ، ولكن الفرس الجاوا مرة أخرى إلى ارشاء الدول اليونانية الأمام الحرب بين اثينة واسبارطة.
وسار ارتحشيشتا في بابل نفس سياسه ابيه ، مع نوع من التساهل في
حرية العبادة ازاء البابليين ، ولكنه شجع استيطان الفرس في بلاد بابل ومن بينهم طبقة كهنة المجوس وصارت ادارة الولاية مقتصرة على الفرس كما انه قطع الأرضى للفرس وفرضت الضرائب الباهظة على السكان مما جعلهم متحفزين لأية اشارة الى الثورة ، ومما يجدر التنويه عن عهد ارتحشيشتا الأول ما سبق أن ذكرناه عن رجوع جماعة أخرى من اليهود الى فلسطين بعد رحلتهم الأولى في عهد كورش ، فقد سمح الملك الفارسي لعزرا أن يعود إلى فلسطين مع (١٥٠٠) يهودي ، ولكن نشب نزاع بين هؤلاء العائدين وبين اليهود الذين في فلسطين مما جعل الملك الفارسي يدخل في الامر فيرسل ساقيه (اي وزيره) نحميا اليهودى لتهدئة الوضع هناك ، كما سمح لليهود باعادة تجمعاتهم واعادة بناء الاجزاء المتهدمه التي كانوا يسكنون بها في مدينة القدس وذلك في 445 ق.م، كما اعترف الكاهن الأعلى حاكما على اورشليم (القدس) ويهوذا و تابعا إلى الملك الفارسي .

لقد ساءت الأوضاع في عهد خليفة ارتحشيشتا الأول المسمى احشويرش الثاني (434 ق.م) الذي اغتيل بعد زمن قليل من اعتلائه العرش من جانب اخيه من أبيه وقتل هذا بدوره على يد دارا الثانى (424 - 404 ق.م) الذي عم في عهده الفساد والمؤامرات ، و بذرت الأموال الفارسية على التدخل في الحروب الأثينيه الأسبارطة ، فضلا عن التحالف بين اسبارطة وفارس ، اذ أعلن دارا الثاني الحرب على اثينة وذلك بالتحالف مع اسبارطة، وأثمر هذا التحالف الفارسي الاسبرطي في الحرب البلوبونيزية استسلام اثينة الى اسبارطة .كما حدثت ثورة من قبل الوالي الفارسي في مدينة (ساردیس)، ،وقيام الثورات في جهات أخرى ،منها في بلاد ماذي وفي مصر.

زينفون وحملة العشرة آلاف اغريقي
لقد خلف دارا الثاني أبنه ارتحشيشتا الثاني (404 - 953 ق .م.)، وقد بدىء حكمه بمحاولة فاشلة لاغتياله من قبل اخيه المسمى كورش الاصغر بطعنة خنجر في أثناء الاحتفال بالتتويج في المعبد في مدينة (بزر گاده) ، ولكن نجا كورش حكم الاعدام بسبب توسلات امه وتضرعها الى الملك درار الثاني ، و كانت هذه تساند ابنها كورش الاصغر لأخذ العرش من الوريث الشرع ، ونجحت في اصدار العفو عنه واعادته ايضا الى حاكمية ولاية آسية الصغرى ، وقيادة الجيوش الفارسية هناك ،ولم يمض زمن طويل على بقاء كورش الأصغر في مقر ولايته حتى جدد العصيان والثورة على اخيه لاغتصاب العرش فقاد جيشا من آسية الصغرى والحق به

جيشا من الاغريق المرتزقة اشتهروا بحملة العشرة الاف ، المقترنة باسم زينفون الذي قاد الاغريق في تقهقرهم من العراق بعد مقتل كورش الاصغر في الموقعة التي جرت قرب بابل ، حيث نازل كورش اخاه بنفسه وجرحه ولكن دارا الثاني استطاع ان يقضي على كورش الاصغر بضربة رمح قوية ، فانهزمت جموعه، أما الاغريق فكانوا في جناح كورش الايمن معتصمين بضفة نهر الفرات ، ولكن قائدهم لم يترك موضعه ويساعد جيش كورش الاصغر كورش في حربه.

يؤلف سير هذه الحملة ورجوع الاغريق إلى بلاد اليونان اخبارا طريفة مهمة جاءتنا مدونة في كتاب زينفون" الذي رافق الحملة وكان جنديا بسطا ثم صار قائدا للاغريق في اثناء رجوعهم ، ولاخبار هذه الحملة اهمية خاصة في الجغرافية التاريخية للشرق وفي وصف جوانب مهمة لأحوال العراق والأقطار المجاورة ، فنوجزها على الوجه الأتي :- بدأت حملة كورش من ساردیس، (عاصمة لدية سابقا) فاجتاز بجيشه ممر كليكية (ويسمى الان كولاك بوغاز) المؤدي من هضبة الأناضول إلى سهل كليكية باتجاه البحر ، ثم وصل إلى طرسوس المشهورة عند اليونان بالنسيج المصنوع من شعر المعز ، وسلك كورش من بعد طرسوس الممر المعروف بالمجاز السوري الذي يجتاز جمال امانوس باتجاه انطاكية وحلب تم مر من مدينة «ايسوس» الشهيرة التي جرت فيها الموقعة بين دارا والاسكندر من بعد مائة عام ، ويذكر لنا زينفون مدينة باسم «مرياندوس» يرجع آن تكون قريبة من الاسكندرونة ، وتوجد فترة في قصة زينفون من بعد مرياندوس.

لم نسمع فيها شيئا سوى مسيرة الجيش سيرا متصلا زهاء اربعة ايام ثم يذكر لنا زينفون من بعد اجتياز الجيش حلب نهرا يسميه (خالسيس)، وهو نهر الباليخ تم عبر الفرات من موضع مشهور باسم (ثبساكوس)، وسار على الشاطيء الأيسر من الفرات حتى بلغ الخابور (الذي يدعوه زينفون باسم اراكوس) وبعد مدة من اجتياز هذا النهر يصف لنا زيفون البادية العربية، وصفا ممتعا ذاكرا حيوانات الصيد فيها (كالحمر الوحشية والايل والحباري والنعام) ثم يصف لنا ما حل بالجيش من قلة الطعام والمؤن وما قاسوه من صعوبة سير العربات في الوحل . ويصل الجش اخيرا الى موقع شمالي الرمادي بنحو خمسين ميلا ذكره زينفون باسم «الأبواب، ، ولا يعلم موضع هذا الممر ، كما ان الجيش تاه من بعده مدة اسبوعين ، ثم يدخل الجيش بلاد بابل ويلاقى كورش الأصغر جيوش اخيه الملك ارتحششتا الثاني في موضع يرجح ان يكون قرب طريق الحلة - بغداد الأن ولا يبعد عن المسيب كثيرا ، وهو الموضع الذي سماه زينفون كوناكسه.

موجز تاريخ الرومان

هذا القسم الذي خصصناه للرومان مع ايجازه كاف لتكوين فكرة عن خطوط التاريخ الروماني وعن ابرز مميزات الحضارة الرومانية ولما كانت حضارة الرومان فرعا من حضارة اعم وهي الحضارة الهلينية فان ما ذكرناه عن تلك الحضارة أي الحضارة الاغريقية يساعد على فهم حضارة الرومان واصولها وتراثها وقد اثر التاريخ الروماني في حياة الشرق القديم في الأيام الأخيرة من تاريخه القديم ونشات علاقات مهمة بين الدول الشرقية التي قامت على انقاض دول العراق القديم كما مربنا في الكلام على الدولتين الفرثية والساسانية وكان العراق بوجه خاص ميدانا لحروب كثيرة نشبت بين الرومان بين تلك الدول والى ذلك سيطر الرومان على جميع الأقاليم الكائنة في شرق حوض البحر المتوسط زهاء خمسة قرون وكانت هذه الأقاليم ملتقى حضارات الشرق القديم والحضارة الاغريقية الهلينية .

واذا كان من المتعذر كما قلنا الإحاطة بتاريخ الرومان بوجه الفصل فاننا مع ذلك نستطيع ان نكون صورة جامعة عن ذلك التاريخ بتقسيمنا الى عهدين كبيرين أساسيين وهما (1) عهد الدولة أي الجمهورية الرومانية (2) عهد الإمبراطورية .

1- عهد الدولة الرومانية الجمهورية

ويذكر من هذا العهد النقاط البارزة أي الحقائق الأساسية في التاريخ الروماني على الوجه الاتي :

1- جاءت القبائل الإيطالية الى شبه الجزيرة التي دعيت فيما بعد إيطاليا وكانت هذه القبائل جزاء من هجرات الاقوام الهندية الاوربية وكانت بداية امرها كما كان الحال في

قبائل الفرس والاغريق قبائل شبه همجية ولكنها اخذت تتعلم أصول الحضارة بالتدريج من اتصالاتها بالمدنيات المجاورة وتعلمت بوجه خاص من جماعات كانت تقطن في إيطالية نفسها قبل مجيئ الايطاليين وهم الاتروسكيون الذين يحتمل ان يكون اصلهم من اسية الصغرى وكانوا مسيطرين على إيطالية في القرن السادس ق م من مدنهم المحصنة التي كانت في الإقليم المسمى توسكاني ثم تعلمت من اليونان واخذت عن القرطاجيين أشياء مفيدة من عناصر الحضارة .

2- وكان الرومان في مبدا امرهم يحكمهم ملوك لايمتون اليهم بصلة ويرجح كثيرا ان يكونوا ملوك الاتروسكيين انفسهم ولا نعلم كم دام هذا العهد ولكن المرجح كثيرا ان الايطاليين انشاؤا جمهورية قوامها دولة المدينة لاسيما في رومة في حدود 508 ق م لاتفرق كثيرا عن دويلات المدن الاغريقية وكان في إيطالية دويلات مدن اخرى غير دولة رومة ولكن رومة اخذت تسيطر عليها بالتدريج وتضمها اليها مكونة مملكة واحدة وبوسعنا ان نلخص توطيد سلطان رومة في جميع إيطالية بالمراحل الاتية: (1) ظلت دولة رومة حتة 325 ق م في حروب مع الاتروسكيين ومع منافسين اخرين من اللانين وكذلك صدت هجمات الغاليين واستطاعت ان تنجح في جميع ذلك وتحرز السيادة وكانت في اثناء ذلك قد اكتسبت كثيرا من عناصر الحضارة ومن بين ذلك الحروف الهجائية المشتقة من الخط الاغريقي (2) بدات رومة بصفتها زعيمة الدويلات اللاتينية في (280- 325) في دحر الاقوام الإيطالية الأخرى في وسط إيطالية وفي جنوبها ومن بين ذلك القبائل المعروفة بالسامنية وكذلك الاتروسكيين والغاليين (3) وأخيرا رضخت بعض المدن الاغريقية في إيطالية الى سيادة رومة واستطاعت في حدود (280- 275) ان تصفي الحساب مع منافسيها فتقضي على مقاومتهم (4) اتخذت رومة سياسة حكيمة باتخاذ القبائل الإيطالية التي كانت تخضعها حلفاء لها واعطت الجماعات الأخرى الحكم الذاتي المحلي واذا اضفنا الى هذا العامل الطرق الرومانية الشهيرة ادركنا العوامل التي استطاعت بها رومة ان تؤسس دولة قوية موطدة استطاعت ان تقف بوجه كثير من الصدمات التي حلت بها فيما بعد .

وقبل ان نتابع ايجاز الوقائع الأساسية في تاريخ الرومان نقول كلمة مختصرة عن نظام الحكم في رومة قبل ان تصير امبراطورية وهو النظام الذي نشا مع نشوء الدولة الرومانية ويبدا ذلك منذ ان تخلصت رومة في حكم الملوك الاتروسكيين واخرجتهم من المدينة في حدود (500- 508 ق م) وكان العامل المهم في طرد هؤلاء الملوك طبقة النبلاء الرومان (الباتريشي) فاخذ هؤلاء زمام الحكم بيدهم ولكن لم يستطيع احد منهم ان يكون ملكا بل انهم وافقوا لعله إرضاء للناس على ان ينتخب اثنان منهم يسميان القنصلين لراسة الدولة وكانت مدة انتخابهما سنة واحدة وكانا متساويين في السلطات .

وكانت طريقة انتخابهما تتم في كل عام من مجمع يضم جميع القادرين على حمل السلاح أي جميع المحاربين ويكون نوع الحكومة هذا النظام الجمهوري تقريبا ولكن كان للجمهورية رئيسان ولما كان حق اختيار القنصلين محصورا في طبقة النبلاء فقد صارت حكومتهم تتصف

بالاستبداد ولكن العوام (البلبييون وهم الأكثر من القبائل اللاتينية) رفضوا الخضوع الى استبدادهم وحيث كان النبلاء في حاجة ماسة الى العوام اذ هم مادة الدولة وجنودها فقد استرضوهم واعطوهم حصة كبيرة من الحكم بان سمحوا لهم بانتخاب جماعة من الموظفين من مجمعهم وسمي هؤلاء الموظفين تربيون وكان هؤلاء الحق في نقض أي قرار او قانون حتى كان يصدر من القنصليين فاذا ما شعر مواطن بضم حق له من صاحب القنصل فانه كان يرفع ظلامته الى التربيون الذي كان باستطاعته ان ينقض الحكم حتى الحكم الصادر بالاعدام وهكذا حصل التربيون على سلطات واسعة وعندما زادت اعمال الحكومة زاد عدد أعضاء مجلس التربيون ونشات طبقات جديدة من الموظفين لمساعدة القنصلين اللذين كانت اعمالهما كثيرة كقيادة الجيوش وتنفيذ القوانين والهيمنة على موارد الدولة الى غير ذلك من شؤون الحكومة فعين موظفين لإدارة الشؤون المالية ثم موظفين عامون انيطت بهم إحصاء النفوس وتخمين الضرائب المترتبة على الافراد وتنظيم أمور الانتخاب ومراقبة سلوك الناس وكذلك عين القضاة للبت في القضايا واعتاد الرومان في ابان الازومات الوطنية ان يعينوا حاكما عاما ممن يثقون بهم وبنزاهتهم يعطي السلطة العليا المطلقة وهذا هو الدكتاتور الذي كان يعين زمنا قصيرا محددا

ونشا عند الرومان مقابل التربيون مجلس السنات أي مجلس الشيوخ يؤلف من النبلاء أي الباتربشين والواقع ان مجلس الشيوخ يرجع في اصله الى زمن ملوك الاتروسكين الذين كانوا يجمعون مثل هذه المجالس للشورى وكان هذا يسيطر على القنصلين والسلطة التنفيذية ومع سلطة التربيون يحق النقض ورفع الظلامات عن طبقة العوام.

فلم يكن بوسعه ان يضمن حقوق العوام وتمتعهم بحق المواطنة والحقوق السياسية ومحافظة ممتلكاتهم الى غير ذلك ولذلك لم تكتف طبقة العوام بحصولها على مجلس العوام (أي التربيون المنتخب منهم) بل استمرت في انتزاع حقوقها من الطبقة المتنفذة الثرية واستمر النزاع وكان شبيها بما حدث في اثينة وبعض الدويلات الاغريقية الأخرى في اثناء انتقالها الى الحكم الديمقراطي ولكن تطور النزاع في رومة الى نتائج افضل ووصلوا الى تسوية احسن والواقع ان الرومان كافحوا كفاحا شديدا ولكن بدون إراقة دماء او ثورات ونجحوا نحاحا كبيرا من خلال القرنين اللذين اعقبا تأسيس الجمهورية

فمن جملة ما طالبوا به واحرزوا فيه النجاح تدوين القوانين المتعارف عليها فلم يكد يمضي خمسون عاما على تأسيس الجمهورية حتى دونت القوانين الرومانية القديمة على اثنى عشر لوحا من البرونز (450 ق م) وطالب الشعب في الوقت نفسه ان يكون له نصيب في وضع القوانين الجديدة ونشا في رومة مجلسان مهمان صارا مجلسين تشريعين لجميع الدولة الرومانية وقد استطاع العوام الحصول على حقوق متساوية في انتخاب هذين المجلسين وهكذا أصبحت للعوام حقوق مهمة في التشريع وزادت حصتهم من إدارة حصتهم من إدارة الدولة وحفظت حقوقهم .

-الإمبراطورية الرومانية

1- أسباب نشوء الإمبراطورية ومقدماتها :-

ان العوامل التي سببت انتقال الدولة الرومانية من النظام الجمهوري الى النظام الامبراطوري (في عهد اوغسطس) لم تقتصر على اتساع الدولة الرومانية بالفتوح الخارجية وضم الأقاليم الخارجية فحسب بل لنشوء هذا النظام من الحكم أي النظام الامبراطوري عوامل أخرى من جملتها عامل الاتساع الخارجي وبوسعنا ان نحصر هذه العوامل في ثلاثة أصناف :-

أ – العوامل السياسية :

نتجت هذه العوامل من النقص السياسي في نظام الحكم نفسه ، وبالدرجة الاولى عجز مجلس الشيوخ الروماني في تنظيم اداراه عادلة لائقة تشمل جميع الممتلكات والبلدان التي دخلت في حوزة الدولة الرومانية على اثر الفتوح الخارجية وقد اصبح التفسخ والفساد مزمنين ولا سيما من جانب الحكام المستبدين الذين كان همهم سلب الاقاليم التابعة للدولة الرومانية .

ب – العوامل الاقتصادية :-

وقد ادى نهب الاقاليم وابتزاز ثرواتها تجمع الثروات في أيد قليلة من الحكام الارستقراطيين وأصحاب المصالح والاعمال وجامعي الضرائب . فنشأ في روما نظام رأسمالي مركز نتج عنه الاستحواذ على الاراضي والاملاك بأيد قليلة وافقار الفلاحين والمزارعين الصغار . ومما زاد في الطين بلة نظام الرق . حيث صار الملاكون يستخدمون العبيد في زرع الاراض فحلت البطالة والمجاعة في طبقات كثيرة من الناس .

ج – العوامل الاجتماعية :

وكان ابرز النتائج الاجتماعية التي نتجت عن تلك الشرور ازدياد البطر والبذخ عند الاغنياء وافقار الجماهير من السكان وازدياد العبيد وعملهم فالتجأ الفلاحون الذين طردوا وحل محلهم العبيد الى الهجرة الى روما فازداد عدد الجماهير الفقيرة ، وخلقت

من ذلك هوة سحيقة بين الاغنياء والمتنفذين وبين الفقراء وازداد فيما بينهم الحقد والكراهية .

ان جميع هذه العوامل حتمت نشوء نظام جديد غير النظام الروماني الجمهوري العتيق وهو نظام الذي نشأ يوم كانت روما (دولة مدينة) أما الان فقد راينا كيف انتقلت دولة المدينة هذه اولاً الى دولة موحدة ضمت جميع شبة الجزيرة ثم بسطت سلطانها على أقاليم أخرى . فشملت الدولة شعوباً واقواماً مختلفة ، وقد اصبح مجلس الشيوخ الذي تتركز في يده السلطات عاملاً في أضعاف رئاسة الدولة والسلطة التنفيذية ، وكانت ادارة الدولة الواسعة وحكمها يتطلبان الحزم والسرعة في تقرير الاوامر وتنفيذها وحفظ الامن وصيانة الحدود التي تستلزم قيادة عسكرية حكيمة واسعة النفوذ ، ومما زاد في الطين بلة ان الاغنياء من النبلاء كان منقسمين على انفسهم وفي نزاع فيما بينهم على استلاب الثروات .

لما يئس العوان من الاصلاح قاموا بعدة ثورات لنيل حقوقهم وانضم اليهم كثير من النبلاء لجلب العوام اليهم وتوسيع نفوذهم في الحكم منافسة لغيرهم من النبلاء وقام قسم من هؤلاء المؤيدين للعوام ببعض الاصلاحات التي مست حقوق مجلس الشيوخ (السنات) وأغضيته فحدثت اغتيالات ومؤامرات ، وبرز قواد وزعماء ، وكان من جملة النبلاء المقربين من العوام قائد شهير اسمه " بومبيوس " (بومبي) فانتخب قنصلاً في عام (70 ق. م) والغى هذا بعض الانظمة والقوانين المضرة بمصالح العوام واستطاع ان يحافظ على الامن ويقضي على القرصنة البحرية التي كانت منتشرة في البحر المتوسط وثبت سلطة روما بالقضاء على الثورات التي نشأت في ايطاليا واسبانيا واسيا الصغرى ، واستطاع ان يفتح الاقاليم في سواحل البحر الاسود وفتح سوريا وجعلها اقليماً رومانياً (64 ق .م) وفتح القدس كذلك حتى انه أوصل حدود الدولة الى الفرات كل ذلك عمل على ازدياد نفوذ " بومبيوس " فخافه مجلس الشيوخ وخشى استبداده بالحكم فاخذ يعارضه ويقاومه ، وبرز من المعارضين له قائدان هما " كراسوس " و " يوليوس قيصر " ، ولكن استطاع بومبيوس أن يتفق معهما وتألفت على اثر ذالك حكومة ثلاثة (59 ق.م) وقد صار قيصر في اول سنه من الحكم قنصلا ثم صار الاتفاق على ان يحكم قيصر بلاد الغال (فرنسة) مدة خمس سنوات وان يبقى بومبيوس في رومة ويكون صاحب الامر أما كراسوس فقد ذهب بحملة مع الفرتين فقتل في الحرب .

بوليوس قيصر :

اخذ يمهد لنفسة ويبسط نفوذة وقد تقرب من العوام (وهو من طبقة النبلاء) وقد اظهر نفسة سياسيا ممتازا وعندما ذهب الى فرنسة أبدى مهارة عسكرية فائقة واستطاع بعد حرب دامت ثماني سنوات ان يبسط نفوذة على جميع فرنسة من جمال الالب حتى بحر المانش ومن نهر الراين حتى ساحل المحيط الاطلسي وقد غزا انكلترا مرتين واستطاع قيصر ان يكسب رضا جنودة ويستميلهم الية بحسن المعاملة وزيادة الرواتب وكانت اخبار انتصاراتة وأعمالة العسكرية قد أكسبتة عند الرومان مكنة مرموقة كل ذالك جعل بومبيوس ومعه مجلس الشيوخ الروماني يخشى نفوذ قيصر واستبدادة وعنما اقتربت مدة حاكمة قيصر على بلاد الغال من الانتهاء صار اتباعة في رومة بتوصية منة يمهدون له السبيل لانتخابة قنصلا فخشى مجلس الشيوخ من رجوعة الى رومة وهو مزهو بالانتصارات العسكرية فاخذ بومبيوس جانب مجلس الشيوخ متخليا عن زعامة العوام وجماهير الناس وكانت اولى بوادر النزاع ان مجلس الشيوخ اصدر امرا الى قيصر بتسريح جيشة وهو الجيش الماهر الذي لا يرتبط الا بقيصر بصفتة قائدة العظيم المحبوب

فسلك قيصر تجاة ذالك خطوة جريئة سريعه بان سار بجيشة الى رومة واخذ خصومة على حين غزه (49 ق.م) فلم يسع بومبيوس ان يقابل جيوش قيصر الزاحفة فهرب ومعة كثير من اعضاء مجلس الشيوخ والنبلاء الى بلاد اليونان ليشن الحرب من هناك وكان معه اسطول عظيم وله جيش في اسبانية وهكذا كان على قيصر ان يحارب قوات الاعداء في جبهتين في الغرب والشرق .

وقد بدأ حربة في اسبانية وبحر كات بارعة وبقطع الامدادات اضطر جيش في اسبانية على التسليم بدون حرب تذكر (49 ق.م) فتفرغ قيصر لحرب خصومة في اليونان (49-48 ق.م) وقضى عليهم في معركة مشهورة (48 ق.م) فهرب بومبيس الى مصر وقتل هناك بتحريض من قيصر . وهكذا تخلص قيصر من اعدائة ومنافسية واصبح سيد الامبراطورية في الخارج واستغل فرصة النزاع على عرش مصر بين بطليموس واختة كليوبطرا فتوجة بجيشة الى الاسكندرية وحارب بطليموس وقتله واجلس كليوبطرا على العرش وبقى معها عدة شهور (من تشرين الاول 48 الى حزيران 47 ق.م) وأبدى ضعفا وانجذابا امام الملكة الجميلة وعاش معها في الاسكندرية.

وقد حدثت من بعد ذالك ثورة في اسية الصغرى فأخمدها قيصر في بضعة ايام ومما يؤثر عن قيصر كلماته المشهورة التي ارسلها الى مجلس الشيوخ الجديد (اتيت – رأيت – ظفرت) وهي تدل على اعتداد قيصر بنفسة وبقابليتة وعاد قيصر الى ايطالية وكانت انتصاراتة قد رفعت منزلتة في نفوس الشعب الذي وجد منة العطف على مصالحة والرغبة في الاصلاح فكافأة مجلس الشيوخ وعينة دكتاتورا طوال حياتة (سنه 45 ق.م) ومما يقال عن قيصر بوجه الاجمال انه استعمل قوتة ونفوذه باعتدال فلم ينتقم من احد ومنح الشعب حريتة وقضى على الفوضى ونشر الأمن وضرب على ايدي الموظفين والجباة المختلسين

ووزع الاراضي على جنودة وشغل المواطنين العاطلين ومنح حقة الرعوية الرومانية لجميع سكان البلاد التابعة ووضع تقويما جديدا هو التقويم الذي لا يزال مستعملا حتى اليوم ويسمى باسمه (التقويم اليولياني) واطل قاسمة على احد الشهود يوليو (تموز) .

قام قيصر بهذه الاعمال على الرغم من انة لم يعش الا خمس سنوات منذ ان دخل الى ايطالية (49-44 ق.م) قضى اربعا منها بالحروب وقد عين اليوم الثامن عشر من أذار سنة 44 لقيامة بحملة على الفرثيين شرق

الفرات ولكن المؤامرات كانت تحاك ضدة لان قسما من الرجال المشهورين من اعضاء مجلس الشيوخ كانوا يمقتون حكم رجل واحد وكانوا يحاولون اعاده النظام الجمهوري العتيق الذي حكم التأريخ بزواله وعدم صلاحيته فأغتيل قيصر في قاعه مجلس الشيوخ في 15 اذار سنة 44 وكان من حمله قتلة الرزين (بروتس) و (كاسيوس) .

تأسيس الدولة الساسانية:

لقد سبق وان تكلمنا على الفرثيين بعلاقة الساسانيين بهم ونعيد هنا بشيء من التفصيل كيفية قيام السلالة الفارسية الساسانية وتغلبها على الفرثيين .فتورى لنا المآثر ان ساسان جد السلالة الساسانية . كان الكاهن الاعلى في معبد الالهة (اناهيتا) في اصطخر (برسيبوليس) وان ابنه بابك الذي خلفه في تلك الوظيفة الدينية المهمة قد تزوج من ابنة حاكم الاقليم . وانه ثار عليه فيما بعد واغتصب منه السلطة بالقوة . وقد عدت المآثر المتأخرة (بابك) مؤسس السلالة الساسانية الحاكمة . وان تبوأه منصبه الجديد في تلك الامارة بداية عهد جديد في تاريخ ايران (208 م) وكان الملك الفرثي انذاك (ارطبان) الخامس فلم يعترف بمشروعيته عمله وبسلطته ورفض كذلك محاولته لتنصيب ابنه (شابور) مما اردى الى الانشقاق بين الملك الفرثي وبين تابعيه في اقليم فارس وكان اردشير الابن الثاني لبابك قائدا عسكريا في (درب جرد) في فارس ولما مات ابوه رفض الاعتراف بسلطة اخيه شابور ولكن لحسن حظ اردشير مات اخوه فكفاه ذلك مشقة الدخول في نزاع مسلح معه فخلا الجوا لاردشير واعلن نفسه ملكا على فارس واخضع الى سلطته جميع امراء فارس . وكون من فارس مملكة موحدة قوية . كما وسع سلطته في اصفهان وكرمان . فاخاف ذلك الملك الفرثي ارطبان الخامس . فاوعز الى ملك الاهواز (عيلام) التابع له ان يحارب اردشير ولكن غلبه اردشير في معركة حاسمة . ومن ثم استطاع ان يهزم جيوش الملك الفرثي في ثلاث معارك متوالية . واستطاع في الملاقاة الثالثة والنهائية في بلاد السوس القضاء على الملك نفسه (224 م) وهكذا انفتح

الطريق امام اردشير الى العاصمة طيسفون في العراق . وتوج اردشير من بعد عامين ملكا شرعيا على جميع ايران (226 م) وهكذا رجعت السلطة الى الفرس من بعد خمسة قرون ونصف القرن من سقوط الاخمينين . وكان العام الذي اعلن فيه اردشير نفسه ملكا على ايران بداية على الامبراطورية الساسانية في حدود (637) او في (651م) وهو العام الذي اغتيل فيه يزدجرد في اثناء هربه من جيوش العرب ...

ومع ان اردشير استطاع ان يقضي على الملك الفرثي فانه واجه بعد قليل خطرا جسيما هدد عرشه . اذ تألف اتحاد قوى لمقاومته واعادة السلطان الفرثي وكان مركز المقاومة في هذا الاتحاد مملكة ارمينية التي كان ملكها خسروا الاول . منحدرا من السلالة الفرثية الحاكمة . كما ان روما خشيت من ظهور هذه القوة الجديدة في بلاد ايران فقدمت المساعدات . وساعد الاتحاد ايضا ملك الكوشانيين الذي التجأ اليه افراد اسرة ارطبان وانضمت اليه جماعات من الاسكيشين . ومهما كان الحال فان اردشير تمكن من تحطيم الاتحاد في سلسلة معارك فانسحب الرومان والاسكيشيون وملك الكوشانيين ولم يبق في الميدان الا ملك ارمينية حيث استمر هذا في مقاومته بيد انه دحر من بعد معارك دامت عشر سنين . ومن ثم اصبح اردشير سيد امبراطورية واسعة تمتد من الفرات الى مرو وهيرات وسستان . فعمل اردشير على تقوية تخوم هذه الامبراطورية مما ادى الى الاصطدام بروما احرز فيه الفرس سلسلة من الانتصارات على الرومان واستولى الفرس على حصنين مهمين هما نصيبين وحران ..

شابور :.

حكم اردشير حكما طويلا دام نحوا خمسين عاما استطاع في خلاله ان يدحر اعدائه الواحد بعد الاخر . ونجح في اقامة اسس امبراطورية واسعة ولعل اهم اعماله التي يذكر من اجلها تحويله الجيوش الى اداة نظامية قوية واشرك ابنه شابور الاول في الحكم . ويروى ان نقل له العرش قبل موته بضع سنوات . فورث شابور عن ابيه دولة موطدة نوعا ما ولكن لاتزال قائمة فيها الانظمة الفرثية وعلى رأسها النظام الاقطاعي فابقى عليه ولكن حسن في هذا النظام بان قوى فيه السلطة المركزية .مضافا الى ذلك جيش نظامي حسن التدريب مما جعل الامبراطورية تقوم على اسس وطيدة مدة من الزمن.

لقد وجه شابور همه منذ البداية الى الشؤون الخارجية وبامكاننا ان نوجز اعماله في جبهتين رئيستين هما الجبهة الشرقية والجبهة الغربية وكان اهم خطر شغل شابور في الجبهة الشرقية وجود مملكة قوية في تخوم المملكة الفارسية الشرقية هي المملكة الكوشانية التي تأسست منذ القرن الاول للميلاد (في العهد الفرثي) مما جعلها مصدر خطر جسيم من الناحية السياسية والاقتصادية . اذ كانت المملكة الفارسية في الواقع بين قوتين خطرتين هما الامبراطورية الرومانية والكوشانيين . وتدخل في هذه المشكلة من الحدود الشرقية مشكلة الدولة الارمينية. فوجه شابور قواه اولا على الكوشانيين . وخلف اخبار انتصاره عليهم في الكتابات المنقوشة في جدران معبد (نقش رستم) حيث استولى على (بيشوار) عاصمة الكوشانيين الشتائية واستولى على وادي نهر السند ثم زحف شمالا وعبر هندو كوش واستولى

على بلاد البخت . وعبر سيحون ودخل سمرقند وطشقند وخلع الملك الكوشاني ونصب بدلا منه ملكا جديدا تابعا للفرس مع تقليص حدود المملكة وجعلها ولاية . وبعد هذه التسوية الناجحة في الجبهة الشرقية حول شابور جهوده الى الجبهة الغربية وكان الحظ حليفه في الغرب ايضا فقد زحف على سوريا وتوغل بعيدا فيها الى انطاكيا ولكنه لاقى بعض الاندحارات وفيما كان مصمما على الانسحاب اغتيل الامبراطور الروماني (غورديان) واسرع خلفه فيليب الملقب بالعربي الى طلب الصلح دافعا جزية كبيرة الى فارس وتخلى عن بلاد ما بين النهرين وارمينية (224م) ولكن نشبت الحرب مع روما من بعد 15 عاما على هذه التسوية . واحرز شابور نصرا لامعا فيها حيث استطاع ان يستولي على اهم المدن السورية من بينها المركز المهم (انطاكيا) وفي موقعه كبرى قرب الرها (اديسا) وقع الامبراطور الروماني (فالريان) اسيرا بيد شابور ومعه زهاء (70000) جندي من الرومان من فرق (الليجون) الرومانية الممتازة فأخذ هؤلاء الى ايران ووطنوا في مقار بنيت لهم على هيئة معسكرات رومانية في خوزستان بالدرجة الاولى (260م) وقد استفادت الامبراطورية الفارسية من اختصاص هؤلاء . اذ كان بينهم المعماريون والمهندسون فشغلوهم في الاعمال العامة كأنشاء الطرق والجسور والاسداد وحصل شابور من هذه الانتصارات اللامعة على غنائم واسلاب وفيرة ولكن حدث له في اثناء عودته عن طريق شمالي سوريا حادث طريف لم يكن يحلم به الملك الفارسي . اذ عندما اقتربت جموعه من تدمر العربية ارسل الملك اذينة هدايا ثمينة ولكن الملك الفارسي رفض هذه الهدايا باحتقار متسائلا عمن يكون اذينة هذا؟ ولم لم يجئ بنفسه ويسجد للملك العظيم ؟ فكان جواب اذينة ان ظهر بجموعه الاشداء (265م) فاوقع الرعب في الجيش الفارسي وجدثت فوضى وسلب الملك الفارسي جزءا من الغنائم الكثيرة ومع ذلك فلم يكن هذا الانتكاس امرا ذا بال بالنسبة الى انتصاراته على فاليران وكان هذا الحادث المهم قد بلغ الرومان فقربوا اليهم اذينة ولقبوه (بحاكم المشرق) وكان هذا لقبا عظيما ورثته عن اذينة زوجه الملكة زنوبيا او كما يسميها العرب ب(الزباء او زينب) وقد كانت هذه ملكة عظيمة وصفها المؤرخ الشهير (جيبون) بانها كانت ملكة نابغة مشهورة بالصيد والفروسية وتصنفها المصادر الرومانية بجمالها وثقافتها وانها كانت تحسن اللاتينية والاغريقية والمصرية علاوة على اللهجة السورية .وقد ورثت العرش عن زوجها الذي اغتاله احد اقاربه بالوصاية على ابنها (وهب اللات) .وقد امتازت (الزباء) بطموحها الخارق فانها تحدت الامبراطورية الرومانية وشنت عليها الحرب واستطاعت ان تمد حدود مملكتها بحيث شملت ولاية مصر وقسما كبيرا من اسيا الصغرى حيث دحرت الجيش الروماني هناك (270 م) واستولت في العام نفسه على الاسكندرية وتوجت ابنها الصغير ملكا على مصر . واشتهر من قوادها الحربيين قائدان عظيمان يعزى اليهما تدبير خطط الملكة الحربية وهما (زباى) و(زبداء) ولكن طموح (الزباء) الخارق كلفها ثمنا غاليا فانها لم تكف بتحدي الامبراطورية الرمانية بل انها اخذت تحارب الفرس ودحرت جيوش (شابور) مرتين وصلت في كل معركة منهما الى ابواب العاصمة (طيسفون) ولما بلغت دولة تدمر هذه القوة حل الرعب في الرومان فعزم الامبراطور الروماني (اورليان) وضع نهاية لدولة تدمر فبعد ان دحر القائد (زبدا) في انطاكيا وفي حمص هاجم في ربيع عام 272 تدمر نفسها وبعد حصار شديد يأست الملكة من المقاومة

فهربت واخذت بعدئذ مصفدة بسلاسل من الذهب وسارت امام عربة الامبراطور في دخوله منتصرا الى روما وبذلك انتهت حياة هذه الملكة وخربت المدينة ونهبت كنوز معبدها الشهير المخصص لعبادة الاله الشمس واخذت الى روما الى معبد شيده الامبراطور للاله الشمس تخليدا لذكرى انتصاره هذا فانتهت حياة ملكة تدمر وخلفتها في الاهمية التجارية بعض المدن السورية التي كونها الغساسنة مثل بصرى ..

ومن الامور التي يجدر ذكرها عن عهد شابور الاول المدينة المهمة التي شيدها في اقليم خوزستان في الموضع المسمى بالسريانية بيت لافط وموضعها الا ان شاه اباد وعرفت في المصادر العربية باسم (جند بسابور) التي اشتهرت بمدرستها في الطب وفروع المعرفة الاخرى مما كان لها اثر عظيم ف الطب العربي وظلت مزدهرة الى العهد الاسلامي .لقد بنى شابور هذه المدينة تخليدا لانتصاره على الامبراطور الروماني (فاليريان) وتدميره انطاكيا وقد سماها باسم طريف يعني (احسن من انطاكيا مدينة شابور) وصارت هذه من المراكز العلمية الشهيرة ولجأ اليها كثير من العلماء النساطرة بعد ان طردتهم بيزنطة في القرن الخامس من اقليم اديسا (الرها) واشتهر شابور بولعه بالحكمة والمعرفة والفلسفة وترجمة المآثر اليونانية في ذلك .

وبعد الاستطراد الذي اضطررنا اليه في ذكر بعض الاشياء المفيدة عن تدمر تعود فنوجز ما تم في عهد شابور من الاحداث المهمة .وعلى رأس ذلك ماقام به هذا الملك العظيم بالاضافة الى اعماله العسكرية من التنظيمات الداخلية للامبراطورية مما بدأ به ابوه واشتهر شابور بولعه بالمعرفة تتضمن نواحي مختلفة من المعرفة كالطب والفلك والفلسفة ومن الامور التي تستحق الذكر عن عهد شابور ظهور حركة ماني الدينية حيث شمله هذا الملك الفارسي بحمايته واهتم بتعضيد حركته الدينية ولعله استهدف من ذلك تأسيس ديانة عامة عالمية في امبراطوريته ولما كنا سنذكر اشياء اخرى عن هذه الديانة في موضع اخر فنكتفي هنا بان نذكر انها حصلت على اتباع كثيرين في جميع اسيا الغربية ولكن وقع اضطهاد في صاحبها واتباعها من بعد موت شابور (272 م) بزمن قليل في عهد بهرام (وهرام) الاول حيث حكم على ماني بالموت .

خلفاء شابور :

كان شابور من اعاظم ملوك السلالة الساسانية وقد حصلت من بعده اضطرابات وثورات مما احل في المملكة فترة من الوهن والضعف . خلف شابور ابناه هرمزد (هرمز) الاول ثم بهرام الاول .ثم بهرام الثاني وبهرام الثالث .ونشبت حرب جديدة مع روما في عهد بهرام الثاني كما حدثت ثورة خطيرة في التخوم الشرقية من الامبراطورية حيث اراد اخوه الذي كان واليا على (سستان) اغتصاب العرش وساعده في ذلك امير مملكة كوشان مما جعل الخطر يشتد علي بهرام في جبهتين ولذلك اعتمد الى عقد الصلح مع روما متخليا بموجبها ع بلاد مابين النهرين وارمينية .ولم يحكم بهرام الثالث سوى بضعة اشهر (293م) حيث خلعه اخوه نرسي (293__302 م) وهو سابع ملك من بعد اردشير وتجددت الحرب مع الرومان في عهد

(نرسي) وكان قائد الجيش الروماني (غاليربوس) وكان النصر حليف الملك الفارسي وتقهقر القائد الروماني الى انطاكيا حيث عززه الامبراطور الروماني (ديوقليشان) الذي قاد الجيش بنفسه وهاجم الملك الفارسي في السنة التالية فاحرز الرومان نصرا ساحقا على الفرس حتى انهم اسروا جميع اسرة (نرسي) وعقدت معاهدة بين الطرفين سلخت بموجبها ارمينية الصغرى وجملة ولايات فارسية شرقي دجلة .وبلغ الضعف في ايران مبلغا كبيرا فركن الساسانيون الى سياسة المصالحة مع الرومان ومع الكوشانيين حتى ان هرمز الثاني ابن نرسي وخليفته تزوج بأميرة كوشانية . ولم تحدث في عهد هرمز الثاني (303_309) حوادث تستحق الذكر . وتبوأ العرش الفارسي بعد موته ملك شاب هو شابور الثاني (شابور ذو الاكفاف كما سماه العرب) الذي دام حكمه زمنا طويلا نحو سبعين عاما (309_379م) برهن فيه على كفائته في الحكم . وقد احتذى مثال شابور الاول وكان اول محك لقدرته توجيه قواه على مملكة الكوشانيين حيث حطم امبراطوريتهم وضمت الى ايران على هيئة ولاية تابعة يحكمها ولاة من الامراء الساسانيين في مقرهم في (بلخ) ومما يذكر عن عهد هذا الملك القدير انتشار الثقافة الايرانية والفن الايراني شرقا الى المدن التركستانية الصينية وحتى الى الصين نفسها واستأنف شابور الثاني من بعد استتباب الامور له في الشرق نزاعه مع الرومان لازالة عار المعاهدات التي فرضتها روما علي بهرام الثاني و(نرسي) وكان سير الحرب في مبدأ الامر في صالح الرومان . ولكن تغير الوضع الى صالح الفرس بعد التسوية التي تمت مع الكوشانيين والافتلاطيين حيث ساعد هؤلاء الاقوام البربرية الشديدة الجيوش الفارسية في حربها مع الرومان وكانت اولى المعارك العظمى في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين في سنجار فكان النصر حليف شابور وبعد ذلك توجه شابور الى نصيبين التي كانت قلعة رومانية محصنة كما ذكرنا وكاد ان ينتصر هنا لولا الارتباك الذي حدث في جيشه واضطراره على ترك الحرب والذهاب الى فارس ليخمد ثورة كانت قد نشبت هناك . وبعد اخماد الثورة رجع فقصد الشمال وحاصر(آمد) وقتل اهلها ومن بعد ذلك شغل الفرس انفسهم في تخريب بعض القلاع الرومانية .وفي اثناء ذلك جاء الى الحكم في روما الامبراطور (جوليان) وقد بدأ حكمه في غزوه الشرق وعبأ لذلك جيشا كبيرا ومعه اسطول من السفن فبعد ان عبر الفرات سار متوجها الى حران وقسم هنا جيشه الى قسمين ارسل القسم الاول منه شرقا الى نصيبين وسار بنفسه مع الاخر بأتجاه الفرات . وكان الاسطول يرافق الجيش الزاحف .وقد وصل الامبراطور الى بابل نفسها وكان قد دمر مدنا كثيرة خلال تقدم الجيش ومن ثم سار الجيش شرقا الى العاصمة (طيسفون) فنشبت معركة عظيمة بين الفرس والروم على ابواب العاصمة كان النصر فيها الى الرومان وكان الملك الفارسي آنذاك بعيدا عن العاصمة . فأسرع في العودة ليخلص عاصمته من الحصار الروماني يضاف الى ذلك ان الجيش الروماني الثاني لم يصل بعد باتجاه دجلة نظرا للمناوشات التي حصلت بينه وبين الارمن لذلك قرر مجلس الامبراطور الحربي ان يترك حصار العاصمة الفارسية ويذهب لاخضاع المقاطعات الشرقية وعزم الامبراطور على حرق اسطوله مخافة ان يقع بأيدي العدو . وبعد ان فعل ذلك سار متوجها الى بعقوبة ومنها الى جبل حمرين وكان الفصل صيفا فلاقى الجيش صعوبات عظيمة . وبعد ايام ظهر جيش الملك الفارسي (شابور) الذ اعترض مرور الامبراطور من تلول حمرين الى كركوك . وقد نشبت على اثر ذلك معارك

غير حاسمة قتل في احداها الامبراطور بسهم في قلبه فمات على الاثر . فأضطرب الجيش من بعده ولما لم يتمكن من عبور جبال حمرين تقهقر قسم منه وعبر دجلة قرب سامراء ووصل الباقي بخالة مبعثرة الى انطاكيا وقد رافف حملة جوليان المؤرخ الروماني (مرشيلينوس) المشهور وكتب عن هذه الحوادث في مؤلفاته التأريخية . وهكذا كانت نتيجة غزوة جوليان للشرق ومن نتائجها ايضا ابرام معاهدة بين الامبراطور الذي خلف جوليان وهو جوفيان وبين شابور حصل بموجبها الفرس على اقاليم مهمة من الامبراطورية الرومانية مثل سنجار ونصيبين وارمينية التي احتلت احتلال عسكريا من جانب الفرس بقيادة مرزيان (اي احد قواد تخوم) .....

الحضارة الصينية

من المرجح كثيرا ان الحضارة الصينية او حضارة الشرق الاقصى من الحضارات الاصلية التي نشأت من الاطوار البدائية في العصر الحجري الحديث في الصين نفسها ولايستبعد انها تأثرت بعض الشيء بحضارات الشرق الادنى . ومهما كان الحال فانها بلغت طور نضجها في وادي النهر الاصفر الاسفل منذ منتصف الالف الثاني ق.م وظهرت منها سلالات حاكمة منذ هذا التاريخ . وكانت البيئة طبيعية التي ظهرت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية شديدة فكانت الاهوار والاحراش والفيضانات تعم وادي النهر الاصفر (هوانغ هو) وقد حول الانسان هذه البيئة الى مهد الحضارة الصينية وامتازت بيئة هذه الحضارة ايضا بتغيير متطرف من الحر والبرد في الفصول المختلفة . وبلاد الصين بوجه عام اعظم اقليم جغرافي في قارة اسيا ويحيط بها اعظم المحيطات من الشرق والجنوب الشرقي كما يحدها اعلى الجبال واوسع الصحاري في العالم (صحراء كوبى) مما جعلها تتمتع بالعزلة والثبات والركود ايضا . وتشير بقايا الانسان القديم في الصين المعروف باسم انسان بكين الى اقدم استيطان الانسان في العصور الحجرية القديمة في الصين .

ومما يقال في اصول الحضارة الصينية ان انقلاب العصر الحجري المتأخر قد حدث في الصين ايضا (3000 ق.م) حيث عرفت زراعة الحبوب ولاسيما الرز وتدجين الحيوان ولاسيما الخنزير والبقر . وظهرت من هذه البداية بعد ازمان حضارة الصين الناضجة والسلالات الحاكمة فيها في القرن الثامن عشر ق.م. واول سلالة تعرف اخبارها التاريخية المضبوطة المعروفة وهي (سلالة شانغ) التي حكمت في اولى المدن التي ظهرت في الصين وهي (انيانغ).

وعرفت حضارة الصين فن التعدين مثل صناعة البرونز ودولاب الخزاف والكتابة الصورية الاصطلاحية واستعملت العربات التي تجرها الخيول في الحرب .ومع مايلاحظ من بعض اوجه الشبه بين الحضارة الصينية وحضارات الشرق الادنى الا انها تختلف عنها في التفاصيل التي ظهرت بتاثير الموارد الاقتصاد المحلية في حضارة الصين مثل الاعتماد على الرز بدلا من الشعير والحنطة والاعتماد على صناعة الحرير بدلا من القطن.

واشتقت من حضارة الصين القديمة حضارة الشرق الاقصى اي حضارة الصين الحديثة وحضارة اليابان قبل ان تتخذا الحضارة الغربية . ولعل ابرز مايلاحظه المتبع لتاريخ الحضارة الصينية شدة محافظتها على مآثرها وتقاليدها الاساسية اكثر من اربعة الاف عام وقد الت في اطوارها الاخيرة الى ان تكون من انواع الحضارات المتحجرة . وكانت ديانتها القديمة تدور على عبادة القوى الطبيعية مثل الجو والسماء والاجرام السماوي والرياح والامطار وغيرها ذلك مما اثر في الحياة الزراعية . وامتازت ايضا بتقديس التنين رمز الامبراطور المقدس الذي كان من العناصر المهمة في الفن الصيني . ولعل اصله من الحيوانات من نوع التماسيح التي كانت تملئ انهار الصين وصارت حيوانات مقدسة تعبد . وامتازت الحضارة الصينية القديمة بالروح الاجتماعية وان العائلة لا الفرد كانت الوحدة الاساسية في بناء المجتمع وكانت عادات الاجداد وعرفهم هي الشريعة والقانون المتبع في المحافظة على تماسك المجتمع .

وتثبت النظام الاجتماعي وتبلور في عهد (شوء (1122_ 255) ق.م التي اعقبت سلالة (شانغ) وبلغ التوطيد الاجتماعي في القرن الخامس ق.م اشده وكان التعاليم (كونفشيوس) (551_478) ق.م. اثر بالغ في ذلك السلوك الاجتماعي وقد وصفت (الكونفشيوسية) على انها ديانة ،والواقع انها ليست ديانة صرفة ولا فلسفة صرفة بل كانت اقرب ماتكون الى النظام الاجتماعي والاخلاقي الذي كان يرمى الى تثبيت المجتمع بتنظيم علاقته الاجتماعية بموجب عرف وقواعد قاسية حتى في اتفه الامور وعمت الكونفشيوسية في الصين الشمالية .

ولكن نشأت في وادي نهر (اليانغستى) في الصين الجنوبية عند سكانه عقائد واراء وانظمة تختلف عما كان عند الصينيين في الشمال في وادي النهر الاصفر (هوانغ هو) وظهرت منهم ديانة تعرف ب(التاوية) نسبة الى (تاو) وهو المبدأ الاعظم الذي يمثل الطبيعة او قوى الطبيعة وسيرها .وتنسب هذه التاوية بالدرجة الاولى الى احد حكماء الصين المشهورين الذي عاش قبيل كونفشيوس واسمه (الاؤنصى) في حدود (604_ 517) ق.م حيث عاش في عصر كثر فيه الحكماء والفلاسفة والمفكرين . ويبدوا انه كان يشر بنوع من ....

البشرية التي كانت تستوطن الصين في عصور ماقبل التاريخ , وما ان العنصر الغالب الان وفي العصور التاريخية المعروفة هو العرق المغولي (الاصفر) الا انة من المحتمل ان يكون

اهل الحضارة الصينيه القديمة منذ انقلاب العصر الحجري الحديث ليسوا مغوليين , ولعل ذالك الانقلاب قد تأثر بالمراكز الغربية التي وقع فيها مثل التركستان وايران وشمالي العراق .

ومما يقال في تاريخ الصين ان حوادثة وتواريخة غير معلومة بوجه الضبط في ماقبل 1800 ق.م , كما ان السنين التي اعقبت هذا التاريخ تقريبة , ويبدأ التاريخ المضبوط منذ السنة الشهيرة التي ولد فيها , كونفشيوس , (551-478 ق,م) . هذا مع العلم ان تاريخ الصين القديم يمتاز بكثرة السجلات التاريخيه التي خلفها لنا المؤرخون الصينيون القدماء الذين اهتموا بتدوين كلما اعتقدوا بحدوثه , ولكن لا يسع المؤرخ الحديث الملتزم لأصول النقد التاريخي ان يأخذ برواياتهم في ماقبل عام 776 ق.م وهو العهد التاريخي في الصين الذي امتاز بالاقطاع .

ويشبه المؤروخون الصينيون القدماء كتاب اسفار التوراة الاولى ومؤلفيه اساطير الخليقه في الحضارات القديمه بانهم يدونوون لنا تاريخ الصين منذ الخليقه ، وبموجب تلك الاساطير اشتغل اول بشر (بيان كو) زهاء 18 الف عام في خلقه للكون والخليقه التي وجدت في عام (2.229.000 ق.م) بحسب التقويم الصيني , وقد تولد من نفسه الهواء والريح ومن لحمه الارض ومن شعره الحشائش والاشجار التي كانت متعلقه في جسمه الجنس البشري . ويقول لنا هؤلاء المؤرخون ان الملوك الاقدمين حكم كل منهم (18 الف) عام , وقد بذلوا جهداً عظيماً في تحويل القمل الذي في جسم بيانك والى جنس متحضر من البشر . وقبل ان يجيئ هؤلاء الاباطره السماويون كان البشر كل الوحوش لا يعرفون المدنيه والحضاره ويلبسون الجلود ويأكلون اللحم النيء ولا يعرفون ابائهم بل امهاتهم . وتنسب المآثر تمدين البشر ال الامبراطور الأسطوري فوهسى (fu His) (2852 ق.ب) ,والى غيرهم من الملوك القدماء .

اما عن ديانات الصين فقد سبق ان نوهنا بأشهر مذاهبها وهي التاوية والكونفشيوسيا ثم نوهنا في كلامنا عن البوذيه في الهند في انتشار هذه الديانة الى الصين حي تمكنت فيها , ومما ساعد على انتشارها الشبه الموجود بينها وبين التاوية , ويجدر النويه هنا بأثر البوذيه الكبير في حياة الصين حيث كانت عاملآ محفزآ على بث روح جديده في الفن وفي النحت والتصوير .

البوذية

1-الجانية:-

تميز القرن السادس ق.م في الهند وبقية أجزاء العالم المتحضر بثقافة فكرية بين المفكرين والفلاسفه ففي اليونان بدات عقول الناس تفتح لمعالجة شؤون الكون وقضاياه الكبرى وفي الصين كان كونفشيوس يبشر بتعاليمه و(لاؤ _تصىء) في الصين ايضا، وكان بعض انبياء بني اسرائيل مثل "ارميا" و "اشعيا الثاني " مشغولين في تبليغ رسالتهم وفي الهند ظهر جملة رجال فكروا في سلوك الانسان والحياة البشريه منهم "مهافيرا" (MAHAVIRA) مؤسس الجينية (JAINISIM) الشبيهه بالبوذية والبراهمانية وتدور على تقديس الرجال القديسين من العصور الماضية وهم (الجينا) أو"الجين "(JAIN).

وكان المهافيرا من (البوذات) لان البوذا(BUDDHA) يطلق بوجه عام على الشخص الذي وهب الحكمه والنور الالهين واطلقت على جملة مؤسسين لفرق ومذاهب دينية ولكن اختص بهذا اللقب البوذا (غوتاما سدهرثا) وتدور تعاليم المهافيرا على ضبط النفس ونكران الحياة ولزوم الحياة التقشف والتنسك وتطهير النفس من عواطفها . وبعد ان عاش زهاء(13)عاما في حياة نكران الذات الذي سماه بعض اتباعه (جينا) اي الغازي او الفاتح اشاره الى تغلبه على شهوات نفسه وعلى حياة الماده وهو لقب على المبشرين القديسين العظام الذين يظهرون مدفوعين بقوى علوية للتبشير بين الناس ثم سموه (مهافيرا) ايضا اي (البطل العظيم)ولكن اسم (الجين) و(الجينة) غلبت على هذا المذهب وقد نظم المهافيرا رجال دينه من الرهبان والراهبات وفرض عليهم العزوبة ولما مات بعمر (72) عاما خلف وراءه زهاء اربعة عشر الف من الاتباع وكان للجينيين فلسفتهم خاصه بهم .

فقد رأوا في المعرفة انها شيئ نسبي وفني غير مطلق ولا يوجد شيئ حقيقي الا من وجهة نظر خاصه فقد يكون باطلا من وجهات نظر اخرى .واليهم تنسب الاسطوره الطريفه الخاصه بالعميان الستة الذين وضع كل منهم يده على جزء خاص من الفيل فوصفه شيئ يشبه الذي تحسسه بيده ,فوصفه الذي تحسس اذنه بانه مروحه كبيره والذي وضع يده على رجله بانه عمود كبير مدور الخ. وهكذا فجميع احكامنا نسبية محدوده ومشروطه, اما الحقيقه المطلقه فلا يعرفها الا المخلصون الذين يظهرون بين البشر في فترات معينه وهم (الجينا) من امثال "الماهافيرا" كما ان الحكمه المودعه في كتب (الفيدا)لاتعني شيئا لانها لم توح من الله وهم بوجه عام لم يرو ضرورة لوجود الالهة فعندهم ان هذا من البديهي المنطقي الذي يدركه حتى الطفل ذلك هو ان صعوبة فهم او ادراك خالق غير مخلوق او ادراك السبب الاول اي سبب بدون مسبب كصعوبة ادراك عالم غير مخلوق او غير مسبب وعندهم ان الاسهل من الناحية المنطقيه الافتراض ان الكون وجد منذ الازل وان مايطرأ عليه من تغييرات وتقلبات مسببه عن قوى الطبيعه وقوانينها بدون الاضطرار الى افتراض تدخل الهة او اله خاص.

ان هذه الفلسفه الطبيعيه الشبيهه بمذاهب الفلاسفه اليونان الطبيعين في العهد الذي سبق سقراط لم تجد التربه الملائمه لها في الهند فأنها بعد ان اخلت السماء والكون من الالهة ملأته بدلا من ذلك بالقديسين المؤلهين من "الجينا" حيث عبد هؤلاء كما يعبد الالهة على الرغم من عد هؤلاء معرضين الى التفسخ والتناسخ كما انهم لم يكونوا بمثابة الالهة الخالقة

الحاكمة للكون هذا ولم يكن الجينيون ماديين مطلقا انما كانو يرون مبدا "الثنائيه" في الحياة والطبيعة اي مبدأ وجود الماده والروح او الفكر حتى في الاشياء الجامده وتستطيع النفس اذا عاشت حياة لا شائبة فيها ان تصير نفسا عليا خالصة فتنطلق من لباسها المادي ويتم ذلك بحياة التنسك والامتناع من احداث الاذى في اي شيئ حي وينبغي لكل "جيني" ان يقسم على نفسه خمسة اشياء:الا يقتل اي شي ولا يكذب ولا ياخذ ما لا يعطي له وان يحافظ على العفة وينبذ اللذة والمسرات الحسية وبلغ من الجينيين الصادقين انهم كانوا يمتنعون حتى من اكل عسل النحل لانه حياتها ويصفون الماء الذي يشربونه لئلا يكون فيه بعض الحيوانات الدقيقة ويطبق الجيني شفتيه لئلا يدخل في فمه الهواء وفيه بعض المخلوقات حتى ان بعضهم اقام مستشفى في"احمد اباد" لايواء الحيوانات الكبيرة السن والحيوانات المصابة فلا يسمح للجيني قتل اي حياة بأستثناء حياته التي يمكنه ان يقضي عليها بالجوع والصيام وفي ذلك انتصار عظيم للروح على الأرادة العمياء للحياة وهكذا فأن هذا المبدأ الصارم لم يجذب اليه اتباع كثيرين وحل فيهم الانقسام في حدود 190 للميلاد حول مبدأ العرى فقسم تمسك بالعرى التام وقسم ارتأي لباس رداء بسيط ابيض ولكنهم الان جميعا يسيرون وهم لابسون الارديه المعتاده ولكن رؤساء الدين منهم والقديسين يسيرون عراة وهناك انقسامات اخرى ويبلغ عددهم جميعا الان زهاء المليون ونصف المليون وقد تأثر غاندي بمذهبهم من ناحية التقشف اللبس والمأكل .

حضارة وادي نهر السند والحضارة الهندية الآرية

نشأت في وادي نهر السند وفي سهل روافده الخمسة (البنجاب) حضارة قديمة سبقت هجرة الاقوام الارية (الهندية - الاوربية) الى الهند التي ابتدأت في الالف الثاني (في حدود 1600 ق. م) ويرجح كثيرا ان هذه الحضارة , مثل الحضارة السومرية والمصرية , من الحضارات الاصلية وان زمن نشوئها يقرب من زمن نشوء هاتين الحضارتين اي في بداية (الالف الثالث ق . م .) أو منتصفه , وسبقت ظهور هذه الحضارة الناضجة عصور حجرية طويلة من العصر الحجري القديم والحديث حيث وجدت اثارهما منتشرة في جميع شبه القارة الهندية .

اما زمن نشو هذه الحضارة الراقية فيرجع الى العهد الحجري المعدني . ومن الطريف في أمر هذه الحضارة انها ظهرت الى العالم منذ زمن حديث حداً في عام 1922 حيث بدأت التنقيبات من تلك الحضارة , ثم تناولت أعمال التنقيب مواضع اخرى أظهرت لنا انه نشأت في وادي نهر السند الواسع حضارة راقية ذات مدن معظمة منسقة التخطيط منتظمة الشوارع والبيوت مبنية بالآجر . وقد عرفت الفنون الجميلة والتعدين واشتهرت بالتجارة .

وقد ثبت انها كانت على اتصال بالحضارة السومرية في العراق ووجدت بعض الاثار الخاصة بالحضارة السومرية مثل الختوم الاسطوانية في حضارة وادي نهر السند كما وجدت بعض الختوم الخاصة بالحضارة السندية في العراق . فاستعان العلماء بهذه الاتصالات الثقافية في تاريخ الحضارة السندية أي تعيين زمنها . ووجدت في الموضعين السابقين أثار أخرى ممثلة لحضارة وادي السند كالأدوات المنزلية والآلات والاسلحة المصنوعة من النحاس وحلى من الذهب وأواني الفخار البسيطة والملونة .

واستعملت الحضارة السندية نوعاً من الكتابة الصورية لم تحل رموزها بعد , ومع اتساع التنقيبات التي جرت في الاماكن التي تمثل هذه الحضارة وانه لم يعثر من تلك الكتابة على نماذج كافية تمكن العلماء من حل رموزها وانما وجدت منها نماذج قليلة موجزة فيما يسمونه بالختوم أو الحروز مما لا يساعد الباحثين في محاولتهم , ولا يعلم وجه التأكيد لماذا لم يجد المنقبون كتابات مطولة في مأثر هذه الحضارة , فيرى البعض ان سبب ذلك أنهم كتبوا على مواد قابلة للتلف كالجلود أو الخشب وما أشبه ذلك .

لقد سبق ان قلنا ان الحضارة السندية سبقت العهد الآرى في الهند الذي بدأ في الالف الثاني ق.م وانها بدأت بالانهيار منذ ذلك التأريخ ولا شك ان الاريين هم الذين قضوا عليها . ومع أننا لا نزال نجهل الشيء الكثير عن هذه الحضارة من حيث أصولها القديمة الا ان الباحثين وجدوا بعض الاتصالات بينها وبين الاطوار الحضارية في العراق مما يرجح انها تأثرت الحضارة السومرية في نشوئها ولكنها على حال سادت فيما بعد بوجه مستقل الامر الذي يجعلها , كما قلنا , من الحضارات الاصلية .

العهد الارى

ومع الغموض الذي يكتنف نهاية الحضارة السندية والاقوام التي تقرن بها فيما قبل العهد الآ رى فيبدو ان الاريين لما غزوا الهند في منتصف الالف الثاني ق.م وجدوا من الاقوام الاصلية في الشمال جماعات اشتهرت بعبادة الثعابين , وهم (الناكا) الذين لا يزال احفادهم الان في المرتفعات الشمالية .

واستوطنت في الجنوب جماعات سود الالوان فطس الانوف , وهم (الدرافيديون) الذين كانوا متحضرين لما داهمهم الغزاة الاريون , فتعلموا منهم مبادئ الحضارة ولا يزال اقليم (الدكن) الى يومنا هذا كان يسود فيه العنصر الدرافيدي وعاداته ولغته وفنه .

وبعد ان امضى الاريون زمناً ما في الفتح والتوسع وقتل السكان الاصليين شرعوا في حياة الاستقرار , فاستقرت القبائل واتحدت جملة منها مكونة دويلات في انحاء القطر , يحكمها ملوك ومجلس شورى من المحاربين , ويرأس كل قبيلة (راجا) . ولما كان الاريون الغزاة أقلية بالنسبة الى السكان الاصليين , فانهم لم يكتفوا للمحافظة على كيانهم ونقاوة عرفهم بقتل هؤلاء السكان الاصليين , بل نشأت عندهم عادة الانفصال التام عنهم وتحريم الزواج منهم والاختلاط بهم , وهذه هي عادة التنجس التي ورثتها الهند في العصور الحديثة , من عهد الفتح الارى .

ان أحسن ما يصور لنا اوضاع الهند في عهد الفتح الارى الكتابات المقدسة المعروفة باسم (الفيدا) (او الريج فيدا) حيث تستطيع ان تطلق على هذا العهد اسم العهد (الفيدي) (2000-1000 ق.م) أعقبة عهد البطولة (1000- 500 ق.م) الذي بمثابة ادب الـ (مهابهرانا) والـ

(راميانا) التين كانتا بمثابة الاودية والالياذة عند اليونان في عصون الابطال . وبعد حين توطد الاستقرار والاختصاص كما تثبت نظام الانقسام الى طوائف .
ففي رأس طبقات المجتمع يأتي صنف المحاربين الـ (الكشارا) ثم كهنة (البراهمان) الذين لم يكن نفوذهم عظيماً في مبدأ الامر وانما كانوا مجرد مساعدين للرؤساء او الملوك الكهنة , ولكن ازداد نفوذهم بمرور الازمان حين زاد استقرار المحاربين وشغلوا بصناعات السلم دون الحرب , وصاروا عدا وظيفة الكهانة الدينية معلمين ومحافظين لتأريخ الفاتحيين ومأثرهم وادابهم وشرائعهم حتى بلغ نفوذهم في المجتمع في زمن البوذا (563-483 ق.م) أنهم نافسوا نفوذ الطبقة النبيلة المحاربة .
ويقوم اساس المعتقد (البراهماني) على ثلاث أركان أو على ثالوث الهى مما يعرف باسم الـ (ترمورتي) اي الثالوث المقدس وأولها الاله الاعلى (البراهما) وهو المبدأ الخالق المنصف بالمعرفة والحكمة ثم الـ (فشنو) وهو المبدأ المدبر الحافظ المتميز بالحب والعاطفة , ومبدأ الـ (شيفا) وهو المبدأ المخرب المدمر , من الارادة والقوة .
ويأتي بعد هاتيين الطبقتين الحاكمتيين طبقة التجار ال(فسيا) وطبقة الصناع والعمال , الـ (شدرا) الذين يدخل فيهم معظم السكان الاصليين , ثم طبقة المنبوذين الـ (فارياه) المؤلفين من السكان الاصليين ممن لم يندمجوا بالفاتحين وممن اسرهم هؤلاء الفاتحون في الحرب.
هذا ولا نعلم اشياء مهمة عن ديانة الهند فيما قبل العهد الارى ولعله كان يدور على مبدأ الطوطمية والحيوية , حيث الارواح تكمن في قوى الطبيعة المختلفة , كما عبدت الحيات والافاعي ويرجح ان بعض الالهة الهندية الاربة اصلها مما قبل العهد الارى مثل الاله (ناجا) الممثل على هيئة تنين , وهنومان (الاله القرد) والاله (نندى) وهو الثور المقدس ومجموعة من الالهة الخاصة بالشجر .
اما الالهة القديمة الواردة في (الفيدا) فأصلها من قوى الطبيعة وعناصرها مثل الجو والشمس والارض والنار والضوء والريح والماء فألاله الجو (دايوس) مثل الاله الاغريقي (زوس) , ثم شخص الاله الجو وصار أبا باسم (فارونا) وشخصت الارض ايضا على هيئة أم باسم (فريثيفي) ومن الالهة المهمة الاله النار (أجنى) والاله (اندرا) اله الصواعق والبرق والرعد , والاله الشمس (فشنو) ان هذه الالهة وغيرها اكثر ما تتميز بصفة التشبيه . ولم يكن في الديانة الفيدية القديمة اشارات الى معابد تشيد للعبادة وانما كانت القرابين تقدم في مواضع عامة عند الحاجة , ثم ايقاد النار المقدسة ومارسوا نوعاً من تضحية البشر .
وكان في الهند جملة لهجات ولغات آريه أشهرها ما يسمى بالسنسكريتية التي دونت بها (الفيدا) المقدسة , اما الكتابة فالمرجح انها دخلت الى الهند عن طريق التجار في حدود القرن التاسع او الثامن ق.م , من الحروف الهجائية السامية . أما هذه (الفيدا) فتعني المعرفة أو الحكمة المقدسة , وقد اشتهر من هذه الكتب الخاصة بالحكمة مما وصل الينا أربع مجموعات أشهرها (الريج فيدا) وهي القصائد الخاصة بالتراتيل والمجد والمدائح والنصائح والحكمة والفلسفة , وتنقسم كل فيدا الى اقسام أربعة , يتضمن القسم الرابع منها قسم الحكمة والفلسفة .

البوذا والبوذيين :

ومع جهلنا بالعوامل الاجتماعيه والاقتصاديه التي عملت على ظهور الجينيه والبوذيه الشبيهه بها في الهند في حدود القرن السادس الا انهما في مبادئهما يبدون وهما رد فعل عنيف ازاء الانغماس في الملذات من جراء تجمع الثروات الهائله عند الطبقات العليا في المجتمع

وتروى لنا المأثر الهندوسيه ان والد بوذا كان من النبلاء المثرين من قبيلة "الغوتاما" وكان اميرا او ملكا على اقليم في سفح جبال همالايا ، ويخصص البحث الحديث لولادته عام 563 ق.م. ولا نعرف عن قصة حياته سوى ما جاءنا من المأثر والقصص بموجب هذه المأثر تزوج البوذا في عمر 19 عام بابنة عمه الجميله وعاش سعيدا زمنا ما ولكن ادرك فجأه عقم حياته الفارغه التي لم تملؤها اسباب السعاده التي كانت التي كانت في متناول يده من ناحيه الثروه و اسباب الحياه السهله وفي ما هو في هذا الحال التقى بأحد أولئك المتقشفين المتزهدين فأستهوته طريقتهم وفيما هو يفكر بتغيير سير حياته وأنه الأنباء بأن زوجته الجميله قد ولدت له ولداً فوجد "غوتاما" في ذلك رباطاً جديداً يجب قطعه فعاد الى موطنه وأحتفل بعودته وبولادة الطفل وفي ليله مقمره دخل الى مخدع زوجته فوجدها تحيط بها الأزهار والطفل نائم بين ذراعيها فأحس بشوق لعناق الطفل ولكن خاف أيقاظ زوجته فخرج من المخدع وأمتطى جواده وهام على وجه في عالم الهند الواسع وظل يسير حتى أبتعد عن ربوع عشيرته ولما أن أصبح الصباح وجد نفسه عند النهر.

فتمهل هنا وقطع بسيفه شعره الطويل المسرح بهيئه ظفائر ورمى جميع حليته وبدء تجواله ووجد في طريقه رجلاً مرتدياً أسمالاً فأستبدلها "غوتاما" بحلته الزاهيه وبذلك أصبح حراً في هيامه الأن بحثاً عن الحكمه والحقيقه ووجد في أثناء تجواله جماعه من الرهبان المتبتلين فعاش معهم في الكهوف فكان يذهب الى المدينه والقرى المجاوره للتبشير بتعاليمهم ، وتظلع بجميع المعارف الميتافيزيقيه في عصره ولكنه لم يجد فيها حلاً لأزمته الفكريه فأتبع سبيل التقشف المتطرف مع خمسه من أتباعه وأصباحه حيث قضى معهم في غابه حياة مارس فيها الصوم القاسي الشديد ونكران الذات والجسم فذاعت شهرته وفيما كان مرة يسير ذهابا مفكرا بحل لعذابه النفسي اصابه الاعياء الشديد فسقط على الارض فاقدا شعوره والفى نفسه وقد وجد سبيل الحكمه الابديه واضحا امامه فطلب من اصحابه ان يطعموه الطعام العادي تاركا صومه وزهده فأنكر ذلك اتباعه ولكنه نفسه ادرك الحقيقه من ان الانسان لايستطيع ادراك اي حقيقه مهما كانت الا بعقل سليم في جسم سليم معافى.

وهذه افكار غريبه بالنسبه الى متنسكي الهنود فتركه أصحابه وأتباعه فاخذ "غوتاما" يتجول وحيدا وتروى المأثر انه حصل على الالهام بالحكمه المطلقه لما كان يفكر بلا حراك ليلا ونهارا تحت شجره في ضفة النهر فعاد الى "بنارس" وجمع حوله الاتباع من جديد حيث اسس مجتمعا منهم يعيش في الاكواخ وكانت تعاليمه الجديده تدور على كبح النفس وضبطها فأن جميع مايصيب الانسان من شقاء منشؤه من رغبات الفرد واطماعه وهناك ثلاثة اشكال تبدو فيها اشواق النفس ورغباتها وكلها شر فأولها الرغبه الحسيه والشهوات وجميع اشكال الملذات الحسيه وثانيها شهوة النفس الانانيه للخلود وثالثها الرغبه في النجاح الشخصي

في المادة والاطماع واذا استطاع المرء من الغلبة على هذه الرغبات والشهوات فتحصل سعادة الروح الكاملة وهي بلوغ حالة (النرفانا) . وهي اسمى فضيلة . وعنها تنتج الاستقامة العقلية وسمو الغرض والهدف في الحياة والسلوك الفاضل في العيش والحياة . ومع ان (النرفانا) في تطرقها قاسية ترمى الى افناء النفس بضبط الشهوات الا انه يكمن فيها السر للسيطرة على النفس وهو امر اتفق فيه جميع المصلحين من جنس البشري سواء كانوا الذي يعيش فيها الماء او في الحياة الاخرى عن طريق التناسخ وهذا هو المبدأ الهندي المعروف بأسم (الكرما) وهو ما قدر على الفرد من عقاب او ثواب جزاء اعماله السابقة التي تحدد مصيره في المستقبل بموجب الناموس العام من ان اي عمل يجازى خيرا او شرا بحسب طبيعته واشتهر (غوناما) بطريقة بث تعاليمه في تجوله مع اتباعه من موضع الى موضع اخر على غرار (السفسطائيين) اليونان كما انه كان يشبه سقراط في طريقة عرض تعاليمه بطريقة القاء الاسئلة والوصول منها الى الحقيقة المطلوبة ونسبت اليه المآثر والرغبة وان الحكمة تكمن في كبت جميع الشهوات ويتضح مما اوردناه شبه تعاليم (البوذا) بالمذهب (الجيني) الذي اسسه (المهافيرا) على ما لخصناه فيها سبق .

ومع ان البوذية لم تكن في حياة مؤسسها تتطوى على نظام خاص للكهنة الا انهم سرعان ما انشأ منها بعد موت مؤسسها نظام خطر من الكهان على طراز كهنة هندوس و(البراهمان) كما ان اتباع البوذا اخذوا من بعده يؤلهونه ويقدسونه ووقعت في تعاليم تحويرات واضافات واساطير لم تكن بالاصل ولم يكن المؤسس ليرتضيها .

وننهى كلامنا على الهند القديمة بذكر شيء موجز عن العهد المهم الذي اعقب غزوا الاسكندر للهند . فقد عبر الاسكندر في عام (327 ق.م) من ايران مرتفعات (هندو كوش) ودخل في الهند وبقى يحارب عام واحد في الولايات الشمالية الغربية التي كانت تابعة للامبراطورية الفارسية وحصل منها على الموارد لجيشه وعلى الذهب وعبر في عام (326) السد وحارب من لاقاه في طريقه شرقا وجنوبا ولاقى جيش الملك الهندي المشهور المعروف باسم (فور) ودحر جيشه الهائل مع فيلته ويعد هذا الانتصار اعجب الاسكندر بشجاعة (فور) وشخصيته فعفا عنه وولاه على الجميع ما فتحه من بلاد الهند ليكون تابعا للامبراطوريته فبقى (فور) مخلصا ولكن نفوذ المقدونيين لم يبقى في الهند زمنا طويلا من بعد موت الاسكندر انه ثار

عليهم امير شاب اسمه (جندوا كوفتا) عام (322__228 ق.م) فاستطاع ان يتغلب على الحامية المقدونية ومد فتوحه واسس سلالة عظيمة حكمت الهند وافغانستان زهاء (137) عام بين (322__185 ق.م) وهذه هي السلالة المورية التي صارت في زمن مؤسسها امبراطورية كبيرة واعظم دول العالم القديم الموجودة انذاك .

وكانت تعاصر الحكم السلوقي في سوريا والعراق وعلى صلات مع السلوقيين . وقد اعجب السفير السلوقي الذي جاء الى عاصمة هذه المملكة (فتاليفتراء) عاصمة مملكة مغاذا السابقة حيث اندهش بالحضارة الباهرة التي كانت في هذة المملكة وحسن اخلاق اهلها وانتظام شرائعها واشتهرت من مدن المملكة (البالغة 2000 مدينة) في عهد مؤسس السلالة مدينة (تكسلا) الواقعة على بعد نحوا 20ميل من مدينة (روليندى) الحديثة وهيه الان مشهورة باثارها الباقية .واشتهر من هذه السلالة ملكها الشهير (اصوكا) (273__232 ق.م) حفيد مؤسس السلالة وقد اعتنق هذا المذهب البوذي وجعله المذهب الرسمي في الدولة .

وقد استطاع ان يمد فتوحه ويجعلها تشمل معظم اجزاء الهند . ويعد حكمه الذي دام (28) عام من العهود المجيدة في التاريخ البشري لما قام به من اعمال ومشاريع عمرانية كان البعض منها سابقا في اوانه ومما يميز اتجاهات العصور الحديثة في تاريخ الانسان . فقد اسس المستشفيات والجامعات والحدائق العامة وخصص مزارع لانماء الحشائش والعقاقير الطبية واوجد وزارة تعتني بشؤون الطوائف الخاضعة والمنبوذة في الهند كما شرع تعليم النساء وعنى بالبحوث والتأليف ووجه الكتبة البوذيين على نقد ادب الديانة البوذية وتطهيرها من الخرافات والاساطير وبعث البحوث البشرية الى كشمير وفارس وسيلان واسكندرية .

ومما يؤسف له ان الخلفاء (اصوكا) لم يكونوا اكفاء له . فظهرت مقاومة الكهنة (البراهمانيين) الذين كانو يعارضون التعاليم البوذيه الصريحة البسيطة فاضعفوا المعتقد البوذي وشاعت الالهة العديدة المتصفة بلوحشية مما في الديانة الهندوسية والبراهمانية التي اخذت تحل محل البوذية بلتدريج وجعلتها تنهار في شبة القارة الهندية ولكن مع ذلك انتشرت البوذية في خارج الهند حتى تمكنت من الصين وسيام وبرمة واليابان ولاتزال البوذية في هذه الاقطار هي الديانة السائدة .